

يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين

تقديم

محمد حسنين هيكل

يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين

تقديم

محمد حسنين هيكل



عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل

الجزء الأول

مدخل الى مذكرات جمال عبد الناصر في حرب فلسطين



كان بين أمانيّ منذ زمان طويل ان تظهر مذكرات جمال عبد الناصر عن تجربته في حرب فلسطين على شكل كتاب يأخذ مكانه كوثيقة تاريخية تنضم الى غيرها في سجل نضالنا المعاصر - تقدم شهادة صحيحة وتعطي رؤية صادقة . خصوصا وان صاحبها هو ابرز والمع شخصية في تاريخ العرب الحديث . ويكفيه انه رجل لم يستطع الموت ان يسدل ستارا على دوره ... بل ان الرجل تحول بعد الموت الى فكرة والى مبدأ والى قضية والى كفاح متجدد . وذلك معيار من اهم معايير « استحقاق البقاء » بصرف النظر عن الكفن والقبر .

ولم يكن ينتقص من اهمية مذكرات جمال عبد الناصر عن تجربته في حرب فلسطين كوثيقة تاريخية - ان الظروف لم تتح له ان يفرغ من اعدادها كلها في شكل نهائي صالح للنشر العام .

كان قد اعد بعضها في هذا الشكل النهائي . ولكن شواغله ضغطت عليه فانصرف عنها قبل ان يفرغ منها . وهكذا اصبح بعضها « شكلا نهائيا » . وظل بعضها الآخر « مجرد مادة خام » لم تأخذ قالبها الذي تصوره لها .

وبشكل من الاشكال فان هذه المذكرات اصبحت تذكرني بالسيمفونية الثامنة من اعمال « شوبير » وهي السيمفونية الشامخة التي اشتهرت باسم « السيمفونية التي لم تكتمل » . لان « شوبير » اعد معظمها في قالب نهائي ثم انصرف عنها ... ثم انصرف عن الدنيا كلها دون ان يعود لاستكمالها . ومع ذلك فانها وجدت طريقها الى الخلود

وان ظلت ناقصة ، وراحت عشرات السنين تملأ اسماع الحضارة وتثير خيال كل ذي ذوق رفيع وتشده الى تصورات واسعة ومبدعة ، وتحفزه التساؤل :

- كيف كان « شوبير » يتمثل بقية سيمفونيته ... لو ان الفرصة واتته ... او واتاه الاجل ·

وفي حالة جمال عبد الناصر مع مذكراته عن تجربة حرب فلسطين كما عاشها ، فان الوضع كان افضل ، ذلك لان بقية العمل الذي لم يكتمل لم يكن محبوسا في خواطره ، وانما كان مسجلا على ورق ، وصحيح انه كان مسجلا على نحو بدائي ، ولكنه كان مسجلا بخطه يملأ كراستين من اولهما الى آخرهما ·

هكذا ، فان العمل الذي لم يكتمل لجمال عبد الناصر لم ينته الى الصمت كما انتهت السيمفونية الثامنة من اعمال « شوبير » - وانما بقي قادرا على الكلام وان اختلفت نبرته ولهجته ، فقد بقيت روايته للوقائع كما كتبها بخط يده في خنادق فلسطين وعلى تلالها وبين البيارات التي يفوح فيها عبق زهور البرتقال على الارض المقدسة ·

وقد كان من حظي ان جمال عبد الناصر اتاح لي فرصة ان اعمل معه في اعداد مذكراته عن حرب فلسطين ووضعها في شكل نهائي يجعلها صالحة للنشر العام . وكانت لذلك قصة ارويها الان لاول مرة ·

كان ذلك في ربيع سنة ١٩٥٥ ، وفي اعقاب الغارة الاسرائيلية الشهيرة على غزة ، وكان جمال عبد الناصر قد ذهب لزيارة بعض وحدات القوات المسلحة المصرية ، وخطب امامها ، وقال في خطابه ما معناه : « ان الجيش المصري قادر على مواجهة التحدي . والذين يتصورون ان هذا الجيش هزم في فلسطين لا يعرفون الحقيقة ... فان الجيش لم يهزم ، وانما كانت الهزيمة هزيمة الارادة السياسية في مصر سنة ١٩٤٨ » ·

وفي مساء ذلك اليوم كنت في زيارة له ، وكنا نتحدث عن خطابه وعن المعاني التي جرى حولها هذا الخطاب ، وسرى بنا الحديث الى ايام فلسطين ، وهي ايام عاشها ضابطا يقاتل ، وعشتها مراسلا حربيا يكتب من ميدان القتال ·

واتذكر ان جمال عبد الناصر قال لي ليلتها :

- هل تذكر قصة الفيلم السينمائي الذي شاهدناه منذ ايام ... كذلك كانت قصة الجيش المصري في فلسطين ·

وكان الفيلم السينمائي الذي شاهدناه ـ والذي كان يشير اليه الان ـ يروي قصة رجلين ،احدهما رجل طيب شريف ، والاخر مجرم مخادع · ووقعت جريمة ، وكان الرجل الطيب الشريف اقرب الناس الى مسرحها ، واتهم بالجريمة ، واحاطت به الملابسات تلفه بالشكوك ، وهو بريء ، الى درجة ان الرجل الطيب الشريف بدأ هو نفسه يظن بنفسه الظنون ··· ولكن الحقيقة انكشفت اخيرا ، وظهر مرتكبها ، وهو المجرم المخادع ·

واستطرد جمال عبد الناصر يقول :

ـ كان الجيش المصري اقرب الناس الى مسرح سنة ١٩٤٨ وملابسات وقائعها ·

وهكذا اتهم بما حدث فيها ، ووصل به الامر الى حد انه هو نفسه بدأ يشك في نفسه ، لكن الحقيقة سوف تظهر ·

ثم كان قوله :

ـ انني اعرف ··· لانني عشت التجربة ·

وقلت :

ـ ان التجربة المكتومة ظلام ··· شأنها شأن الجهل تماما ·

ثم اقترحت عليه ان يكتب تجربته وينشرها على الناس ·

وفكر قليلا ، ثم سألني عما اذا كنت على استعداد لان اعاونه في اعدادها للنشر ، وتحمست على اساسين :

اولهما ان تكون هناك مواد اصلية ·

وثانيهما ان يكون لي حق السبق بنشر بعض فصولها في مجلة « آخر ساعة » التي كنت رئيس تحريرها في تلك الايام ·

ووافق ، وبدأنا العمل معا ·

●

وكانت هناك مواد اصلية بأكثر مما قدرت ، فقد دخلت عليه في اليوم الذي حددناه بعد ذلك لاول جلسة عمل ، فاذا هو يقدم لي مجلدين كلاهما مكتوب بخط يده الشهير بزواياه الحادة :

المجلد الاول كراسة بحجم القطع الكبير ذات غلاف ازرق اللون ، والغلاف سميك ، وفي وسط الغلاف طبعت داخل مربع زخرفي عبارة « حكومة جلالة الملك » ، وفي الركن العلوي الايسر من الغلاف مربع بخطوط بسيطة طبع داخله حرف « الواو » ·

والكراسة في الداخل هي عبارة عن يوميات الكتيبة السادسة التي اشتركت في حرب فلسطين ، والتي كان هو ضابط اركان حربها في ذلك الوقت ، وكان بين مهامه ان يسجل يوما بيوم نشاط الكتيبة ودورها القتالي .

واما المجلد الثاني فقد كان دفتر يوميات عنوانه « يومية الكاتب المصري » ، وهي دار نشر كانت قائمة في ذلك الوقت ، وكانت تبيع مطبوعاتها في السوق ، وكان شعارها رسم لتمثال الكاتب المصري الفرعوني المعروف .

وكان الشعار مطبوعا بالضغط النافر تحت اسم « يومية الكاتب المصري » الذي كان هو الاخر مطبوعا بنفس الطريقة .

وداخل هذا الدفتر سجل جمال عبد الناصر تجربته الشخصية خلال حرب فلسطين .

اي ان الكراسة الاولى كانت للتسجيل الرسمي .

واما الدفتر الثاني فقد كان للتسجيل الشخصي ، ومن الغريب ان غلاف هذا الدفتر الاخير للتسجيل الشخصي كان يحمل آثار بقعة دم .

وكانت هذه موادا اصلية ذات قيمة تاريخية لا تقدر ، ولم اكن اتصور اننا في حاجة الى اكثر من ذلك لاتمام عملنا .

•

واختار جمال عبد الناصر بنفسه اسلوب العمل .

فقد وضع امامه دفتر يوميات الكتيبة السادسة ، ودفتر يومياته الشخصية ، وكلاهما مكتوب بخط يده ، ثم راح يستعيد الحوادث والوقائع ويتمثلها امامه حية نابضة .

وفي الحقيقة ، فانه كان يكسو الحوادث والوقائع بالجو الانساني الذي دارت فيه ، وبمشاعره وهو يعيش التجربة .

وكنت جالسا امامه اسمعه واحاول ان الاحق بالكتابة كل كلمة تصدر عنه .

ثم كنت اعود الى مكتبي ومعي دفتر يوميات الكتيبة السادسة ودفتر مذكراته الشخصية وكلاهما بخط يده ومعي ايضا ما كتبت في اوراقي نقلا عنه وهو يتكلم - ثم كنت احاول وضع هذا كله في شكل نهائي صالح للنشر الصحفي ، وكنت اعود به اليه في اليوم التالي يراجعه ويصححه .

ونفرغ على هذا النحو من جزء ، وننتقل الى جزء يليه ٠

وتكررت جلساتنا لهذا العمل ... واظننا عقدنا خمس جلسات تراوح الوقت المخصص لكل واحدة منها ما بين ساعتين الى ثلاث ساعات ٠

وحان موعد سفر جمال عبد الناصر الى باندونج في ابريل سنة ١٩٥٥ ، وشغل بالسفر وبالمؤتمر ، ثم شدته التطورات والحوادث الى اهتمامات اخرى ٠

وبقي العمل ... لم يكتمل ٠

جزء منه اخذ شكله النهائي ... ولكن الباقي كان « مادة خام » مسجلة ، مكتوبة بخط يده ، وان لم تساعده الظروف على ان يكسوها بالجو وبالمشاعر ، وهما حس ونبض التجربة ٠

ولعلي اقول ان القيمة التاريخية لهذا الجزء الاخير ـ الذي لم يكتمل في شكل نهائي للنشر الصحفي العام ـ اكبر واهم ـ ذلك لان هذا الجزء من المذكرات احتفظ بكل خصائص الوثيقة التاريخية بما في ذلك اصالتها الصافية ، ثم تدوينها يوما بيوم اثناء معاناة التجربة ، ومن ثم فهي غير مدخولة بصنعة كلام ، ثم انها ليست تناولا للماضي تأثر ـ مهما حاول ان يتجرد ـ باضافات فكرية ونفسية تراكمت في الوجدان من لحظة معاناة التجربة الى فرصة تسجيلها ٠

●

ومع اني اوثر ان اترك جمال عبد الناصر يروي تجربة حرب فلسطين كما عاشها دون ان اعترضها ـ او اعطل عن الوصول اليها ـ بمقدمات وشروح ـ الا انني ارى بعض ذلك ضروريا ، ويشجعني عليه انني بما اعترض به او اشرح لا اتطفل برأى من عندي ، وانما اعود الى جمال عبد الناصر نفسه ، سواء فيما كان يقوله وقت اعداد هذه المذكرات مما لم يتسع له المجال وقت اعدادها للنشر ، او فيما كنت اسمعه منه بعد ذلك متصلا بنقط معينة ٠

وعلى سبيل المثال فان اي قارىء لمذكرات جمال عبد الناصر عن تجربته في حرب فلسطين سوف يلحظ على الفور ان جمال عبد الناصر كان له رأي في « الحرب » بالمعنى الواسع ، اي المعنى الذي لا يقتصر على حربه هو بالذات في فلسطين ٠

كان يرى الحرب « شرا » ، وقد لا يكون من « الشر » بد في بعض الظروف ٠

ولم يكن واحدا من هؤلاء المحترفين الذين يرون في القتل المنظم منتهى تحقيق الذات ، وهو ايضا لم يكن واحدا من الذين لا يرون في الحرب الا جانبها الحماسي ، اناشيدا مشبوبة بالعاطفة واعلاما تخفق مع الرياح وطبولا تدق وتختلط دقاتها بزئير المدافع ·

وربما ساعده على ذلك انه عاش التجربة الانسانية للحرب ، ورأى رفاق السلاح من حوله يتساقطون ، واصيب هو نفسه في الصدر ونظر فوجد الدماء تتدفق بغزارة قرب قلبه ·

لكن تجربته الانسانية في الحرب لم تؤثر على شجاعته ، فالسجلات الرسمية لحرب فلسطين تشهد له بانه قاد معركة من اهم معارك حرب فلسطين ، وهي معركة اشار اليها نائب رئيس وزراء اسرائيل اليوم وقائد الجبهة الجنوبية لاسرائيل سنة ١٩٤٨ ، في كتابه عن الجيش الاسرائيلي ، وهي معركة خسرت اسرائيل فيها اربعمائة وخمسين قتيلا امر جمال عبد الناصر بدفنهم على مشارف مواقع الكتيبة السادسة في عراق المنشية ، ثم قام بالارشاد عن مكان دفنهم بعد الحرب تحت رقابة ضباط الهدنة الدولية ، وكانت هذه المعركة هي المناسبة التي حصل فيها جمال عبد الناصر على نجمة فؤاد الاول العسكرية ، وهي ارفع وسام عسكري كان يمنح ايامها لبطولات القتال النادرة ·

ومع ذلك فاننا نجد جمال عبد الناصر ينظر من حوله الى ميدان القتال ويقول انه لو اصبح الامر بيده في يوم من الايام لتردد كثيرا قبل ان يدفع شباب مصر الى ساحات اللهب ، الا ان يكون ذلك ضروريا دفاعا عن حق او دفاعا عن شرف ·

وربما قائل يقول اليوم :

- ولكن جمال عبد الناصر قبل مخاطر الحرب كثيرا في فترة مسؤوليته ·

وذلك يبدو على السطح صحيحا ·

فقد قبل جمال عبد الناصر مخاطر القتال سنة ١٩٥٦ في السويس ، وسنة ١٩٦٢ في اليمن ، وسنة ١٩٦٧ ، ثم كانت سنوات عمره الاخيرة حربا كلها ، وفي الحقيقة فانه هو نفسه كان احد شهدائها ·

والمعيار الذي تقاس به تصرفات جمال عبد الناصر الى مبادئه لا يمكن الا ان يكون هذا المعيار الذي حدده ، وهو :

هل كانت حروبه غير ضرورية ، ام انها جميعا كانت حروب

اضطرار دفاعا عن حق او دفاعا عن شرف ٠

لقد حاول بكل جهده سنة ١٩٥٦ ان يتجنب الحرب ، ولكن الحرب فرضت عليه بالتواطؤ الثلاثي ، وخاضها دفاعا عن الحق ودفاعا عن الشرف ، وانتصر في النهاية ٠

ولم يكن في استطاعته سنة ١٩٦٢ ان يترك ثورة اليمن الوليدة لعاصفة الرجعية العربية تهب عليها من وراء حدود اليمن وتقتلع جذورها ··· ولم يكن هو الذي اطال امد الحرب بلا مبرر ، فلم يكن هو الذي جاء بالسلاح الاميركي ، وجند المرتزقة الاجانب ، وتآمر ضد الامة العربية مع اعدائها ٠

ومع ان حربه في اليمن لم تحقق انتصارا عسكريا حاسما ـ فانها حققت انتصارا سياسيا وانسانيا لا بد ينظر له على المستوى القومي ، فلقد استطاع ان يكسر الاوضاع القديمة في شبه الجزيرة العربية كلها من شواطىء البحر الاحمر الى شواطىء الخليج ، وفتح ابوابها لموجة التحديث ونقلها من القرون الوسطى الى قرب العصر الحديث ، ثم انه اكد ملكية العرب لبترول العرب ، وذلك حين اضطر شركات الاحتكار الاستعماري الكبرى الى التسليم بحق اصحاب البترول ان يكون لهم نصيب في ملكية بترولهم ٠

وفي سنة ١٩٦٧ لم تكن امته العربية لتسمح له ان يتقاعس عن نجدة سوريا ، وهو الامر الذي عرضه ليكون الهدف الرئيسي للهجوم الاستعماري الضاري الذي اراد ان يصفي حساباته مرة واحدة والى الابد مع كل من الحركة القومية العربية ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر يحارب اسرائيل ، وانما اتسعت الحرب الى اكثر من قدرة اسرائيل ، لان القيادة الحقيقية للحرب على الناحية الاخرى كانت في الواقع لوكالة المخابرات المركزية الاميركية ٠

والذي يراجع تحقيقات الكونغرس الاميركي عن العمليات العسكرية لهذه الوكالة ···

والذي يراجع اسرار حادث سفينة التجسس الاميركية « ليبرتي » ···

والذي يراجع تفاصيل نشاط المخابرات المركزية الاميركية وعملاءها واصدقاءها في المنطقة ···

والذي يراجع هذا كله يستطيع ان يخرج بتصور اوسع عن حدود المؤامرة سنة ١٩٦٧ ٠

وربما قيل ان عبد الناصر وقع في فخ نصب له ... والى حد ما فان هذا صحيح - ولكن يبقى لصالح جمال عبد الناصر انه لم يستسلم للفخ، وانما احتفظ بارادته حرة - وبشكل كامل - وواصل القتال لتحرير اجزاء من الارض العربية وقعت تحت الاحتلال .

وفي الحرب - قديما وحديثا - فان بقاء كل الارادة اكثر اهمية من سقوط بعض الارض الى حين ، وتاريخ الحرب العالمية الثانية - وهو قريب منا بوقائعه - يقدم لنا اكثر من درس مفيد .

سقطت اوروبا كلها تحت احتلال النازي ، ورفض تشرشل ان يستسلم محتفظا بكامل ارادته ، وكان النصر النهائي له .

واجتاح هتلر نصف الاتحاد السوفياتي وراح يدق ابواب موسكو ، ورفض ستالين ان يستسلم محتفظا بكامل ارادته ، وكان النصر النهائي له .

وانقضت طائرات الشمس المشرقة على الاسطول الاميركي في الباسفيك ودمرته كله في ميناء بيرل هاربور ، ورفض روزفلت ان يستسلم محتفظا بكامل ارادته ، وكان النصر النهائي له .

بل اكثر من ذلك ، فان فرنسا وقعت كلها تحت الاحتلال الالماني ، وقامت فيها حكومة في فيشي وقعت صك استسلام ، ولكن فرنسا دخلت في زمرة المنتصرين لسبب واحد هو ان رجلا واحدا - شارل ديغول - احتفظ بارادته كاملة ورفض ان يستسلم ، واستطاع ان يقنع العالم ان ارادته رمز لارادة فرنسا المصممة على مواصلة القتال من وراء البحر .

ويلخص رأي جمال عبد الناصر بطريقة شبه كاملة في مسألة الحرب ما كان يقوله وما سمعته منه اكثر من مرة :

- الحرب ليست خيارا سهلا ، والقبول بها لا يكون الا كملجأ اخير .

اي زعيم يستطيع ان يبدأ حربا بهواه ... وليس اي زعيم يستطيع انهاء حرب وفقا لمطالبه .

وارادة واحدة تكفي لنشوب الحرب ، ولكنها بعد ان تنشب لا تصبح تحت حكم ارادة واحدة ، وانما تتداخل في امرها ارادات متعددة ومتداخلة .

وقرار الحرب ليس اعلانا حماسيا ، وانما الحرب جهد وطني شامل يوضع في امتحان رهيب ، ثم انها تضحيات هائلة وآلام وعذاب تفرض على الامة وهي تدفع ضرائبه من مستقبلها لانها تدفعها بالدرجة الاولى

من ارواح شبابها ٠

وحين لا يكون هناك سبيل آخر فلقد نقبل بمخاطر الحرب ٠

ولا ينبغي ان نقبل اذا كانت هناك ابواب مفتوحة او حتى مواربة لسبل اخرى في حل الصراعات ٠

وفي مثال آخر ، فان اي قارىء لمذكرات جمال عبد الناصر سوف يلحظ ايضا ان بعض مظاهر الاضطراب والقصور التي شابت - وعابت - تصرفات القيادات في حرب سنة ١٩٤٨ - تكرر مثلها على نحو او آخر في حرب سنة ١٩٦٧ ، وكانت من بين اسباب الهزيمة ٠

وربما سائل يتساءل : اذا كان جمال عبد الناصر قد عاش بنفسه - وعانى - هذه الاوضاع من الاضطراب والقصور سنة ١٩٤٨ ، فكيف سمح بتكرارها سنة ١٩٦٧ وهو على قمة المسؤولية ٠

والتساؤل صحيح في اساسه ، واعتقادي انه اهم نقد موضوعي يمكن ان يوجه لجمال عبد الناصر ، ولا يقلل من اهميته ان تساق الاسباب لتبريره ٠

وهناك بالتأكيد وراء هذه الاسباب حكايات طويلة ٠

ومجمل هذه الحكايات ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بدأت خمائرها وتحركت طلائعها من داخل القوات المسلحة ، والى جانب ذلك فان القوات المسلحة في دول العالم النامي - خصوصا - هي القوة المنظمة الوحيدة القادرة على صنع اي تغيير في السلطة فضلا عن حمايته ٠

وهذا الوضع اضفى حساسية خاصة على كل ما له علاقة بشؤون القوات المسلحة ودورها في اطار ثورة ٢٣ يوليو ٠

ولقد اراد جمال عبد الناصر ان يبعد السياسة عن الجيش ، ومن هنا جاء قراره الذي دافع عنه وأصرّ على تنفيذه بضرورة خروج العناصر التي شاركت في الاعداد للثورة او في مغامرتها من صف القوات المسلحة - فان هؤلاء في رأيه تسيسوا - ومع انهم قاموا بخدمة وطنية كبرى الا ان هذه الخدمة ذاتها اخرجتهم من دائرة الانضباط العسكري ، وبذلك فقدوا صلاحيتهم للخدمة العسكرية ٠ ولكي لا تتحول الخدمة الوطنية الناجحة الى عقوبة تلحق بصاحبها ، فان هؤلاء الذين يتعين عليهم خلع زيهم الرسمي وعلامات رتبهم - لا بد ان يكون لهم مكان في الحياة المدنية يواصلون منه الخدمة المدنية ٠٠٠ بل وحق العمل ٠

وكانت تلك بداية دخول اعداد كبيرة من ضباط الجيش الى

المنظمات السياسية ، والى وزارة الخارجية ، والى عدد من شركات الانتاج والخدمات ، الى آخره ٠

ولعل الحساسية المحيطة بكل ما له علاقة بشؤون القوات المسلحة ـ هي التي دفعت جمال عبد الناصر الى عدم تولي امور الجيش بنفسه ، فقد خشي ان يظن احد انه يفعل ذلك ليكون الجيش اداته في تثبيت مركزه او تدعيم سلطته ـ وهكذا فانه عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة ، وترك له سلطة واسعة في ادارة شؤون الجيش ٠

ومن سوء الحظ ان الحدود وقتها لم تكن واضحة ، ولم تكن على هذا النحو من التحديد الذي وصلت اليه بعد التجربة الطويلة والمريرة ٠ ومن مقتضى عدم الوضوح ان الخلط وقع بين وضع عبد الحكيم عامر على رأس القوات المسلحة كمسؤول سياسي ـ شأن وزير الدفاع في اي نظام ـ وبين وضعه كضابط سابق محترف يعتقد ان له حق القيادة الفنية ـ اي العسكرية ـ الى جانب المسؤولية السياسية ٠

وتضافرت عوامل كثيرة على صنع هزات وخلق فراغات في البناء الجديد للقوات المسلحة ٠

ففي سنة ١٩٥٥ واجهت القوات المسلحة مشكلة تغيير سلاحها من الغرب ـ المصدر التقليدي حتى وقتها ـ الى الشرق ، وهو المصدر الجديد بعد صفقة السلاح مع الاتحاد السوفياتي ٠

وفي سنة ١٩٥٦ واجهت القوات المسلحة مهمة تفوق طاقتها مهما كان نوع تسليحها ، وهي مهمة مواجهة بريطانيا وفرنسا واسرائيل في معركة السويس ٠

وفي سنة ١٩٥٧ واجهت القوات المسلحة قضية تطوير نظرياتها العسكرية طبقا لانواع السلاح التي اصبحت في يدها ٠

وفي سنة ١٩٥٨ واجهت القوات المسلحة مشكلة الاندماج مع سوريا وتغير استراتيجيات الدفاع الى نظرية كسارة البندق ، واصبح الجيش المصري هو الجيش الثاني للجمهورية العربية المتحدة مع الجيش الاول ـ الجيش السوري ٠

وفي سنة ١٩٥٩ واجهت القوات المسلحة الاوضاع المتغيرة في سوريا نتيجة لانقلاب موقف عبد الكريم قاسم في العراق ٠

وفي سنة ١٩٦٠ واجهت القوات المسلحة ـ في مصر وسوريا ـ ضرورات الاستعداد لنشوب عمليات بسبب مشكلة تحويل مياه نهر الاردن ٠

وفي سنة ١٩٦١ واجهت القوات المسلحة مشاكل صدمة الانفصال وتأثيرها مرة اخرى على استراتيجيات الدفاع ، الى جانب آثارها النفسية في صفوف القوات ·

وفي سنة ١٩٦٢ كانت القوات المسلحة في الشهور الاولى من السنة مشغولة باحتمالات تطوير حرب الصواريخ ، وجاءت نهاية السنة فاذا القوات المسلحة مكلفة بمهام قتالية في اليمن ·

وطالت حرب اليمن واحاطت بها ملابسات اثرت بغير جدال على معنويات الجيش ، فأن صعوبة الحياة في اليمن استوجبت - في رأي قيادة الجيش وقتها - بعض التساهلات من منطق الاسترضاء الذي قاد الى الاسترخاء ·

وفي الحقيقة فأن جمال عبد الناصر كان يجب ان يتنبه بعد صدمة الانفصال الى ان الاوضاع في قيادة القوات المسلحة ليست على افضل وجه يتمناه لها ··· ولعله احس بذلك في وقت من الاوقات ، لكن الظروف - في اعقاب الانفصال - لم يكن انسب الاوقات للقيام بعملية جراحية على قمة الهرم في القوات المسلحة ·

●

وهكذا جاءت تجربة سنة ١٩٦٧ ، فاذا السلبيات المتراكمة تظهر ، واذا بعض مظاهر اليوم تكرر بعض مظاهر الامس مما حدث سنة ١٩٤٨ ·

وفي هذه المرة احس جمال عبد الناصر انه لا يملك خيارا آخر الا ان يتولى بنفسه شؤون القوات المسلحة ، ويشرف على عملية اعادة بناء الجيش ليتولى المهمة الكبرى التي ارادته الجماهير ان يبقى في مكانه لاتمامها ، وهي مهمة ازالة آثار العدوان ·

وقد بدأ حركته بالفعل يوم ١١ يونيو ، فعزل كل قيادات القوات المسلحة وعين قيادات اخرى اثبتت نفسها في تجربة القتال ايامها وراح يعمل بجهد خارق وباصرار ليس له مثيل ، وكان شعاره الذي لم يحد عنه « انه اذا لم نتعلم من تجربتنا المريرة ··· اذن فنحن لا نستحق الحياة » ·

لم تكن به حساسية ··· بل ولم تشغله دعاوى الكبرياء الفارغة ·

راح يلح في طلب السلاح ··· وفي طلب الخبراء من الاتحاد السوفياتي ·

وراح يتابع برامج التدريب ··· والمناورات ·

وراح يحضر بنفسه اجتماعات القيادة العامة ، وفي احيان كثيرة كان يعقد اجتماعات منفردة مع اعداد من الضباط الشبان يستمع اليهم ويطيل السمع ٠

اعتبر نفسه المسؤول السياسي الفعلي عن الجيش ، وترك للقيادة العامة مهامها الفنية بعد ان حدد خطوط استراتيجيته العامة في المراحل الثلاثة المشهورة ، وهي : الدفاع ثم الردع ثم التحرير ٠

ولم تكد سنة ١٩٦٧ نفسها تنتهي حتى كانت الاوضاع الدفاعية للقوات المسلحة المصرية ثابتة وصلبة ٠

وفي سنة ١٩٦٨ بدأت معارك المدافع ٠

وفي سنة ١٩٦٩ بدأت عمليات العبور المحدودة ٠

وفي سنة ١٩٧٠ كانت حرب الاستنزاف على اشدها ٠

وفي نفس الوقت كانت الخطط قد وضعت لعمليات واسعة النطاق ، ابرزها خطة جرانيت رقم (١) التي كانت تستهدف عبور قناة السويس والاندفاع الى المضايق ٠

وكان شرط القيام بها هو اتمام بناء حائط الصواريخ ، وتم بناء حائط الصواريخ في ظروف حرب الاستنزاف وفي ظروف وقف اطلاق النار بمقتضى مبادرة روجرز ٠

وكان تقدير الخبراء العسكريين ان هذا الجهد المركز الذي بذله جمال عبد الناصر وبذلته القيادة العامة للقوات المسلحة وبذلته هذه القوات على كل المستويات ، وساعد عليه الشعب بصموده وبارادته ـ قد حقق ضروبا من المعجزات ٠

وكان تقدير الماريشال زخاروف رئيس هيئة اركان حرب القوات السوفياتية المسلحة ـ ان الجيش المصري استطاع مضاعفة كفاءته في الفترة من يوليو الى ديسمبر ١٩٦٧ ٠

وكان تقدير الجنرال « لاشنكو » كبير الخبراء السوفيات ان الجيش المصري اعاد مضاعفة كفاءته سنة ١٩٦٨ ٠

ثم كرر نفس المعجزة سنة ١٩٦٩ ٠

وكذلك فعل سنة ١٩٧٠ ٠

وظل الخط البياني للتقدم يصعد حثيثا حتى واجهت القوات المسلحة اختبارها العظيم في اوكتوبر ١٩٧٣ ٠

ويلفت النظر ان هذا الوقت تقريبا كان هو التاريخ الذي قدر جمال عبد الناصر ان تصل فيه قدرة الجيش المصري على استيعاب السلاح السوفياتي مداها . ذلك لان تغيير العقيدة العسكرية - بما في ذلك السلاح - لاي جيش من الجيش في العالم الثالث تقتضي فترة ما بين اثنتي عشر عاما الى خمسة عشر عاما - وكان يعتبر ان البداية الحقيقية لدخول السلاح السوفياتي هي المرحلة التي ذهبت فيها مجموعات ضباط الجيش - التي اصبحت فيما بعد قيادات - لتلقي العلم من جديد في اكاديميات الاتحاد السوفياتي في الفترة من سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٥٩ .

•

وفي مثال ثالث فان اي قارىء لمذكرات جمال عبد الناصر سوف يشعر ان المقاتلين بالنسبة له لم يكونوا اعداداً وارقاما أو مجرد ايدي تحمل قطع السلاح ، وانما كانوا بشرا من لحم ودم وآمالا كبرى وآلاما عظيمة .

ونجد جمال عبد الناصر يكتب بخط يده في مذكراته يوم ٢١ مايو ١٩٤٨ ما نصه :

« وصلتني اشارة من المتطوعين ببير سبع عن معركة مع اليهود ، وقد انسحبت القوات التي هاجمها اليهود ، وفي آخر الاشارة نبأ عن استشهاد انور الصيحي الملازم أول بقوة المتطوعين ... لقد تألمت جداً لهذا الخبر ... كان هذا الضابط أول من استشهد من الضباط في الميدان ... وكنت في ظروف اعتقاله قد لمست حالته ... كان معتقلاً في حادث المؤامرة ضد عطا الله باشا ... وذهبت الى منزله لتوصيل مرتبه الذي جمعه الضباط الى والدته ... يسكن في السيدة زينب في منزل متواضع ...

ويعول والدته واخته ، وكانت والدته مضطربة جداً ... وكانوا في حالة يرثى لها ... وقد كنت في منتهى الالم . واليوم اتخيل هذه العائلة وقد فقدت انور في عز شبابه ... الله معهم ... يلهمهم الصبر ... ويجعله من سكان الجنة » .

•

وفي مثال رابع فان اي قارىء لمذكرات جمال عبد الناصر في حرب فلسطين سوف يشعر على الفور ان تقدير « الشعب » لاي عمل كان هو في رأيه اقصى مكافأة يحصل عليها صاحب هذا العمل ، ويظهر ذلك مما كتبه في مذكراته بخط يده في يوم الاثنين ٢٣ اغسطس ١٩٤٨ ، وكان كما يلي :

« علمت اليوم خبرا لم اصدقه لاول وهلة ... ان أحمد عبد العزيز قتل أمس عند عودته من بيت لحم ... وتفصيل الامر ان احمد عبد العزيز وصلاح سالم والورداني عادوا بعد مؤتمر العرب واليهود بالقدس لمقابلة المواوي ... وعندما أقتربوا من عراق المنشية حوالي الساعة ٢٠,٠٠ (الثامنة مساء) فتحت عليهم نيران من المواقع المصرية ... فكان احمد عبد العزيز هو الضحية ... ولقواتنا بعض العذر ، فان اليهود يخرقون الهدنة يومياً في هذا المكان محاولين العبور الى المستعمرات الجنوبية ..

لقد تألمت جداً ، فان احمد عبد العزيز كان يحب أبناءه ، وكان في عز مجده الذي لم يجازي عليه ، ولم يره الشعب ولم يستقبله ... مات أحمد عبد العزيز وكله أمل في الحياة ... لقد تألمت جداً لهذه الآمال التي انهارت ... كان آخر ما قاله لصلاح سالم ...

ولم يكمل جمال عبد الناصر مذكراته ذلك اليوم لسبب من الاسباب وبقيت الجملة معلقة لم تصل الى خاتمة منطقية .

●

وهل استطرد بعد ذلك الى مثال خامس وسادس وسابع مما يستطيع اي قارىء لمذكرات جمال عبد الناصر في حرب فلسطين ان يلمحه ويشعر به ويتفاعل معه .

هل استطرد مع الامثلة .

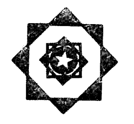
ام اتوقف ... واترك المذكرات تروي قصتها ، على ان اعود اليها بعد ذلك لبحث قصتين بالتحديد :

أولاهما قضية تجربة فلسطين ودورها في تشكيل الرؤية القومية لدى جمال عبد الناصر .

والثانية قضية الصراع العربي الاسرائيلي و رأي جمال عبد الناصر في حله النهائي .

اتوقف عن الحديث الآن اذن ...

وتتقدم مذكرات جمال عبد الناصر عن حرب فلسطين تقص اخبارها وتفضي بافكارها وتبوح بمشاعرها وخفقات قلبها الذي كاد الرصاص ان ينفذ اليه ذات يوم على ثرى الارض المقدسة ...



رقم	الساعة	التاريخ	ملخص الحوادث والمعلومات	ملاحظات
			المواقع اليهودية	
		٢٢٤٠	قابلت الدورية [illegible] [illegible] لتبين أحد المواقع اليهودية وقد [illegible] جبل ثلاث [illegible] دقيقة وثلاث [illegible]	
	٢١ [illegible]	١٩٤٠	خرجت [illegible] [illegible] خيول [illegible] الجنود من [illegible] الى الخلف.	
	[illegible]	١٩٠٠	دورية عادية تقطع المواقع [illegible] السودانية وتقضي عليها نيران شديدة من السودانية واستهلكها كل [illegible] من الأسلحة.	
	[illegible]	١٩٠٠	دورية عادية من أخرى تقطع الأسلاك السودانية نيران شديدة. السرية لا تجيب عليها	
	[illegible]	١٨٠٠	دورية عادية من أخرى تقطع الأسلاك السودانية نيران شديدة. السرية لا تجيب عليها	
	[illegible]	١٠٠٠	[illegible] المفجيات [illegible] حول [illegible] من المدرعات [illegible] الحالة [illegible] [illegible]	
		١٨٠٠	خرجت جماعة من [illegible] [illegible] [illegible] الطريق . [illegible] [illegible] [illegible]	
	[illegible]	١٨٠٠	خرجت دورية [illegible] المدرعات [illegible] [illegible] [illegible] الطريق.	
	٦ [illegible]	١٨٠٠	[illegible] من [illegible] [illegible] القافلة. [illegible] [illegible] عليها نيران [illegible] [illegible]	
	١٠ [illegible]		[illegible] [illegible]	
	[illegible]	٠٠١	[illegible] . المواقع اليهودية الموجودة [illegible] الحالة.	
			فتحت السرية السودانية النيران على قوة كانت متجهة الى المواقع اليهودية الموجودة أمامها.	

من الوثائق التي تركها عبدالناصر بخط يده

الجزء الثاني

هكذا اعد جمال عبد الناصر مذكراته للنشر



باللباس العسكري

— ١ —

كنا في شهر ابريل سنة ١٩٤٨ ...

وكان تنظيم الضباط الاحرار قابعا منكمشا على نفسه ، فقد كانت الرقابة شديدة تتحسس آثارنا من كل اتجاه .

كانت هناك محاولة في الجيش لم يكتب لها النجاح .

وكانت عيون البوليس السياسي متجهة الى الجيش .

كان الوقت بالنسبة لنا غير صالح للحركة على الاطلاق .

وكانت اجتماعاتنا قليلة ، فلم نكن نريد ان نلفت الينا انظار احد .

وكنت منهمكا في الاستعداد لانتهاء الدراسة في كلية اركان الحرب .

ولكن هموم الدراسة ومشاغلها لم تستطع في ذلك اليوم ان تصد عن اذني طبول المعركة التي كانت تدق في فلسطين .

وكانت الحماسة بالغة وروح القتال على اشدها ، خصوصا بين زملائنا من الضباط الشبان ، وكان كثيرون من اخواننا في تنظيم الضباط الاحرار يتسللون خفية من عيون الرقابة ليهمس الواحد منهم في اذني بأنه يريد ان يتطوع للقتال في فلسطين .

وكنت في حيرة مع نفسي .

كانت هناك عوامل كثيرة تتنازع تفكيري .

هل اتطوع انا الآخر ، اخلي ملابسي الرسمية ، واحمل مدفعا صغيراً في يدي وامضي الى المعركة ... ام انتظر انتهاء الدراسة في كلية اركان

الحرب ، وقد قضيت أكثر من عام استعد له ، ولم يبق عليه الا شهر واحد ·

واجتمع فريق من اعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار في ذلك الوقت في بيتي ، واستقر الرأي على ان يسافر بعضنا الى فلسطين متطوعاً ، ويبقى البعض الآخر في القاهرة ·

وذات صباح وجدت نفسي في محطة القاهرة ، مع عبد الحكيم عامر ، وزكريا محي الدين ، نودع صديقنا وزميلنا في اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار : كمال الدين حسين ، وكان في طريقه الى فلسطين مع غيره من الاصدقاء والزملاء ·

كنا نهنئهم على الفرصة المتاحة لهم ، وكنا نواعدهم على اللقاء بعد يوم غير بعيد في الارض المقدسة التي سبقونا اليها · وكنا نؤكد لهم في حماسة ملتهبة اننا سنحاول من القاهرة ان نبذل جهدنا لانجاح معركتهم ·

وكان آخر ما قلته لكمال الدين حسين قبل ان يتحرك القطار : اذا احتجت شيئاً فابعث اليّ ، سوف الاحق اي طلبات لكم في الجيش ، ولن نترك الروتين العادي والتواكل والتهاون يعوق طريقكم ·

وتحرك القطار وقلوبنا تهتز من فرط الانفعال ·

ولم اعد يومها الى بيتي ، و انما طرقت باب احدى الصحف اليومية ، وطلبت من رئيس تحريرها ان يسمح لي بأن أكتب له وصف سفر القطار المتجه الى فلسطين · وجلست ، وقلبي مازال يهتز من فرط الانفعال ، وكتبت ما حدث في محطة القاهرة ، وظللت ساهرا في دار الصحيفة انتظر ان تدور عجلات المطبعة بما كتبت ·

وبدأت ايام شهر مايو ونحن لا نزال في القاهرة ، واعصابنا تحيا في فلسطين ·

كنا نعيش في دوامة من الافكار والمشاعر ·

وذات يوم قيل لنا ان دفعتنا من كلية اركان الحرب سوف تتخرج قبل الوقت المحدد ، فان احتمالات فلسطين قد تقضي بهذا ·

وكان احتفال التخرج بسيطاً ، هرعنا بعده لنعرف الى اين ينتهي بنا المطاف ، وصدرت اليّ الاوامر بأن التحق بالكتيبة السادسة ·

وصدرت الى عبد الحكيم عامر لكي يلتحق بالكتيبة التاسعة ٠

وصدرت الى زكريا محي الدين لكي يلتحق بالكتيبة الاولى ٠

وكانت الكتائب الثلاث يومها على الحدود ، ولم يكن هناك من يعرف على وجه اليقين ما الذي ستأتي به الايام المقبلة ٠

وكنا نحن الثلاثة ـ على اي حال ـ نتعجل الزمان لكي نستطيع ان نلحق بكتائبنا على الحدود ٠

وكانت الاوامر الصادرةلنا ان نغادر القاهرة يوم ١٦ مايو ٠

ولكن حماستنا لم تكن تطيق الانتظار ، فقد كانت الصحف تطالعنا كل صباح بفيض من الانباء عما يجري في فلسطين ، وفي نفس الوقت كانت هناك تخمينات كثيرة وظنون متضاربة عن الموقف الرسمي الذي قد تتخذه الحكومة المصرية في ذلك الوقت ٠

ولم يبدِ من سياق ما كنا نقرأه في الصحف شيء واضح على وجه التحديد ، ولكن احتمال دخول حرب في فلسطين كان قد بدأ يظهر ، وكان الشعور في كل مكان حولنا فياضا دافقا ٠

وغادرت بيتي صباح ١٦ مايو احمل حقيبة الميدان بعد ان تركت على احدى الموائد صحيفة الصباح ، وكانت صفحتها الاولى مليئة بالبلاغ الرسمي الاول الذي صدر عن وزارة الدفاع في ذلك الوقت ، يروي للناس بداية العمليات الحربية في فلسطين ٠

وتملكني شعور غريب وانا اقفز درجات السلم ٠

« واذن فانا في الطريق الى ميدان القتال » ٠

واتجهت بي السيارة الى بيت عبد الحكيم عامر ، فقد كان مقررا ان امر عليه وعلى زكريا محي الدين لكي نسافر معا ٠ وتركت فكرة ميدان القتال تستولي على افكاري كلها ، فقد كنت اريد ان اتجه الى الذي ينتظرني ، وانسى تماما كل ما تركته وراء ظهري ، وانسى بينه عاصفة من الدموع رأيتها تتجمع قبل ان اخرج من بيتي وتنتظر ان ابدأ هبوط السلم لكي يبدأ تساقطها ٠

وكان القطار الذي غادر القاهرة متجها الى الحدود ، حيث جبهة القتال ـ نموذجا رائعا لامثاله ايام الحروب ٠

الضباط والجنود في كل ركن منه ٠

ربطات الميدان تسد الممرات ٠

قطع السلاح والخوذات المتناثرة تضفي على الجو لمسة اخيرة معبرة ·
وكانت الحماسة تطبع كل حركة وكل كلمة وكل نظرة عين ·
وكانت هناك احاديث عن المجهول الذي ينتظرنا والذي كنا نريد ان نقذف ارواحنا واجسادنا في اقداره المخبوءة ·
وكانت هناك ، في بعض الاحيان ، احاديث عن الزملاء الذين سبقونا الى الميدان والذين تركناهم وراءنا في العاصمة ·
ولم يكد القطار يتحرك في اتجاه ميدان القتال حتى اصبح الركن الذي جلسنا فيه ـ عبد الحكيم وزكريا وانا ـ اشبه ما يكون بغرفة عمليات حربية ·
وفتحنا خريطة كبيرة بيننا ، وبدأنا نناقش الموقف ·
وبدت امامنا للوهلة الاولى فجوات كان يمكن ان يتسرب منها الى خطوطنا خطر ·
كان الجيش المصري يومها مكونا من تسع كتائب ، ولكن ثلاثا منها فقط كانت قرب الحدود حينما صدر الامر بدخول فلسطين ، وكانت هناك رابعة في الطريق ·
وكنا نتساءل والقطار يندفع بنا الى ميدان القتال :
ـ « لماذا لم يحشد عدد كبير من الكتائب ما دمنا نريد دخول حرب فلسطين » ·
« ولماذا لم يستدع الاحتياطي لكي تكون منه كتائب جديدة ترسل الى الميدان على عجل » ·
ثم لماذا يصف البلاغ الرسمي الاول عمليات فلسطين بأنها مجرد حملة لتأديب العصابات الصهيونية » ·
وعلى اي حال فأن الحماسة لم تلبث ان ملأت الفجوات جميعا وسدت ما بينها ·
ولكن الاحساس بالفجوات المنذرة بالخطر لم يلبث ان عاد الينا عندما وصل القطار بنا الى العريش ·
كان المظهر الخارجي للبلدة الغارقة في ظلام الليل الحالك يتلاقى في خيالنا مع الهيبة التي كنا نتصورها للقاعدة الخلفية لميدان العمليات ·
ولكن المتناقضات كانت تصدمنا كلما تعمقنا داخل المظهر الخارجي الى صميم العمل الحربي الذي كان يجب ان تقوم به القاعدة ·
لم يكن هناك من يهتم بنا او يرشدنا الى ما يتعين علينا ان

نصنعه ٠

ولم نكن ندري اين مواقع وحداتنا بالضبط حتى نستطيع ان نلحق بها ولم نجد احدا يستطيع ان يرشدنا الى هذه المواقع ٠

وذهبنا الى رئاسة المنطقة ونحن نتصورها خلية نحل تئز بالحركة الدائبة ، ولكن رئاسة المنطقة لم يكن بها احد كأنما هي بيت مهجور ، في بقعة من الارض ، لا يسكنها بشر ٠

وحين عثرنا على اركان حرب المنطقة ، كان الشاب يبحث عن عشاء لنفسه ٠

واستضفناه على ما كان معنا من بقايا طعام ، وكانت اصوات ضحكاتنا واحاديثنا تجلجل في البيت المهجور ، وكانت لاصدائها في نفسي مشاعر غريبة ٠

وجاءتنا الاخبار بعد العشاء بمواقع كتائبنا على وجه التخمين ٠

كانت الكتيبة التاسعة في غزة ، وكذلك الكتيبة الاولى ٠

اما الكتيبة السادسة التي كنت سأعمل اركان حرب لها فقد كانت لا تزال في رفح ، وان كانت قد تحركت منها الى عملية ضد مستعمرة الدنجور ثم عادت اليها مرة اخرى ٠

وافترقنا

ركب عبد الحكيم وزكريا سيارة جيب الى غزة ٠

وركبت انا سيارة اخرى الى مواقع كتيبتي في رفح ٠

كان الجو في الكتيبة السادسة حين وصلت اليها في حال عجيب ٠

كانت الكتيبة قد فرغت لتوها من عملية ضد مستعمرة الدنجور عادت بعدها الى مراكزها في رفح ، ولقد تركت الكتيبة وراءها على ارض المعركة حول الدنجور بعض الضحايا ، ولكني احسست انه كان بين الضحايا الذين تركتهم الكتيبة عند الدنجور ايمانها بالحرب التي تخوض غمارها ٠

وبدأت اسمع التفاصيل ٠

صدرت الاوامر من القاهرة بأن تتحرك الكتيبة الى الدنجور في ليلة ١٥ مايو ٠

ولم يكن هناك وقت لكي تستكشف الكتيبة غرضها الذي سوف تهاجمه ، وكذلك لم تكن هناك معلومات قدمت لها عنه ٠

وكان هناك دليل عربي واحد انيطت به مهمة قيادة الكتيبة الى

موقع مستعمرة الدنجور ، ولم يكن هذا الدليل يعلم شيئا عن تحصيناتها ودفاعها ، وكل الذي قام به هو انه ظل يرشد الكتيبة الى الطريق ويدلي لها بمعلومات غير واضحة ولا دقيقة ، حتى ظهرت امامها فجأة تحصينات الدنجور .

ولم يسترح الجنود بعد الرحلة الشاقة ، وانما اندفعوا الى الاسلاك .
ولم يكن هناك من يعرف ما الذي يجب عمله على وجه التحديد .

ولكن المدافعين عن الدنجور كانوا يعرفون . واصيبت الكتيبة بخسائر لم تكن متوقعة ، وعند الظهر اصدر القائد امره بالابتعاد عنها ، وعادت الكتيبة الى رفح لتجد بلاغا رسميا اذيع في القاهرة يقول : انها اتمت عملية تطهير الدنجور بنجاح .

ولاحظت بين الذي سمعته من تفاصيل ظاهرتين هامتين :

الاولى ان هناك نغمة بين الضباط تقول ان الحرب حرب سياسية . وكان لهذه النغمة ما يؤيدها ويتناسق معها من كل ما رأوا حولهم .

لم يكن معقولا ان تكون هذه حربا . لا قوات تحتشد ، لا استعدادات في الاسلحة والذخائر ، لا خطط ، لا استكشافات ولا معلومات .

ومع ذلك فهم هنا في ميدان القتال .

اذن فهي حرب سياسية .

هي اذن حرب ولا حرب . تقدم بلا نصر ، ورجوع بلا هزيمة ، هي حرب سياسية فقط ...

والنغمة الثانية ان اساطير من المبالغات كانت تؤلف حول قوة العدو العسكرية .

لقد فوجئت القوات بمقاومة مستعمرة الدنجور ، ولم تكن تعرف عنها شيئا .

وسمعت واحدا من زملائنا يروي كيف ان ابراجا تعمل بالكهرباء كانت تطلع الى سطح الارض وتطلق النار في كل اتجاه ، ثم تهبط تحت الارض ، بالكهرباء ايضا .

ولم اكن مشتركا في هذا الحديث ، ولكني لم استطع السكوت ، والتفت الى زميلنا اسأله :

- كيف عرفت انها تعمل بالكهرباء ، انك لا تستطيع ان تقطع بهذا

الا اذا كنت دخلت المستعمرة وفحصت قواعد هذه الا براج ... فهل فعلت هذا ·

وسكت زميلنا ، ولكن اساطير الابراج المتحركة بالكهرباء ، الضاربة في كل اتجاه ، لم تسكت ·

ولم يكن اللوم في رأيي موجها الى هؤلاء الشبان ، وانما كان المسؤول عنه نقص المعلومات عن العدو نقصا قاتلا مدمرا ·

وبدأت بعدها كأركان حرب للكتيبة السادسة اشعر بالحيرة والضجر ـ اللذين كانا يحكمان قيادتنا العليا · وكانت مئات العوامل تتنازعني ، ولم اكن اعرف الوسيلة التي اعبر بها عما احس ·

واعترف اني سمعت من احد الجنود تعبيرا واضحا عن حالتنا ... قاله الجندي بلغته الساذجة الدارجة ولم يكن يعرف انني اسمعه ، ولا كان يعرف ان عبارته الساذجة الدارجة كانت وصفا صادقا لما كنا فيه ·

جاءت الاوامر الى الكتيبة بأن تهد معسكرها الذي تقيم فيه وتنتقل الى مكان آخر يبعد عنه بثلاثة كيلومترات ·

ولم استطع ان اتصور الغرض من هذا التحرك ، ولكن الكارثة الكبرى ان الذين اصدروا امرهم به لم يكونوا يعرفون له غرضا هم الآخرون ·

وكان الدليل انه بعد ثلاث ساعات من هذا الامر ، وبينما نحن نقيم المعسكر الجديد ، جاءتنا اوامر جديدة بالتحرك الى المحطة وركوب القطار المتجه الى غزة ·

وبدأنا نهد الخيام التي لم نكد نفرغ من اقامتها · وجاء احد الجاويشة الى جندي كان منهمكا في اقامة احدى الخيام وقال له :

ـ يا عسكري هدّ الخيمة ·

ونظر الجندي في دهشة الى الجاويش ، ولما علم ان اوامر جديدة بالتحرك لركوب القطار قد صدرت بدأ يعد الخيمة التي هدها في الصباح من مكانها وبدأ عند الظهر يقيمها في مكان جديد ، ثم امر بهدها مرة اخرى قبل ان يفرغ من اقامتها ...

وسمعت الجندي بأذني يقول : « يا خيبتنا ... يا خيبتنا » يقولها منغمة ممدودة ... بلهجة ريفية ساخرة · واحسست ان الشكوك التي كانت تساورني حول عجز قيادتنا وترددها قد وصلت الى الجنود ... وان هذا هو التعبير البسيط الساذج عنها ·

وركبنا القطار الى غزة وفي قلبي هموم ، وعلى اي حال فقد كان يخفف من همومي اني كنت اعلم اني سوف التقي بعبد الحكيم عامر في غزة ، واني سأتسلم منه مواقعها ، فقد كان عليه كأركان حرب للكتيبة التاسعة التي تتولى العمل فيها ان يسلمني كأركان حرب للكتيبة السادسة المواقع التي سنحل فيها مكانهم ٠

وكان بيني وبين عبد الحكيم عامر حديث طويل في غزة ونحن نطوف بالمواقع التي كان عليه ان يسلمها لي ٠

كانت مواقع الكتائب الاربع في فلسطين يومها كما يلي :

الكتيبة السادسة متحركة من رفح الى غزة ٠

الكتيبة التاسعة تستعد لمغادرة غزة بعد وصول كتيبتنا اليها ٠

الكتيبتان الاولى والثانية متحركتان الى الامام في اتجاه المجدل على الطريق الساحلي ٠

واذكر انني صارحت عبد الحكيم عامر بهواجسي ٠ فقد كنت احس ان هناك عملية بعثرة لقواتنا ، فنحن نتقدم على السهل الساحلي ونترك المستعمرات المحصنة وراء ظهرنا تهدد جناحنا الشرقي وخطوط مواصلاتنا ٠

وتركني عبد الحكيم عامر مع كتيبته المتقدمة الى الامام ، والتي كان عليها واجب في معركة دير سنيد ، بعد ان سلمني الف جنيه كانت في عهدته ، وكان علي ان اشتري بهذه الالف كل ما استطيع شراءه من جبن وزيتون ٠

لم يكن لدى الجنود المتقدمين تعيينات طوارىء يعتمدون عليها في المراكز الامامية حيث لا تستطيع الوجبات الساخنة ان تصل اليهم ٠

ولم يكلف احد خاطره ان يفكر في امر وجبات الطوارىء اللازمة للجنود المحاربين ٠ وكل الذي فعلوه انهم بعثوا الينا بالف جنيه وقالوا لنا : « اشتروا جبنة وزيتون » ٠

واشتريت كل ما كان في غزة من الجبن والزيتون ، وقلبي مجروح على الجندي الذي يهاجم المواقع الحصينة بجسده العاري ثم يجلس وقت الاكل في جحر كجحور الفيران يقرض قطعة من الجبن ، اشترينا كل ما عثرنا عليه منه في غزة بالف جنيه القوها الينا وقالوا لنا : تصرفوا ٠٠

وكان قلبي المجروح يهتف بي في كل دقة من دقاته : « ليست هذه حربا » ·

وبدأت وانا في مكاني في غزة الاحق تطورات معركة دير سنيد التي كانت قد بدأت ·· الاحقها دقيقة بدقيقة ·

كنت اسمع دوي المدافع عن بعد · وكان الجرحى من رجالنا يصلون افواجا بعد افواج الى مستشفى غزة ·

وكانت ليلة ٢٠ مايو من اتعس ليالي حياتي ، قضيتها في مستشفى غزة العسكري ، والاسرة حولي كلها مليئة بجرحى معركة دير سنيد التي لا تزال مستمرة ·

كل هذا وراديو القاهرة يذيع بلاغا اصدرته القيادة العامة تقول فيه : « ان قواتنا احتلت مستعمرة دير سنيد واقتحمتها اقتحاما رائعا بالمشاة »·

وكانت هذه كذبة مؤلمة . فان المستعمرة لم تكن قد احتلت بعد ، وان كان الشيء الصحيح في البلاغ الرسمي هو ان المشاة كانت تقوم بعملية اقتحام رائعة ·

وكانت في اعماقي ثورة على الذي كان يحدث امام دير سنيد وتصل الي اخباره ··

اي معركة هذه ·· هذه التي يستهلك فيها جنود المشاة بهذه الطريقة المروعة ·· في هجمات نهارية مكشوفة . واجساد عارية لا تحميها قوات مدرعة امام تحصينات قوية ، ومدافع ماكينة متحفزة في ايد مدربة · صحيح ان موجات مشاتنا لم تتوقف ، كانت موجة منهم تسقط امام النار فتجيء موجة بعدها غير هيابة ولا خائفة ·· ولكن هل كنا نسوق جنودنا الى معركة ، ام كنا ندفع بهم في غير رحمة الى مجزرة ·

كان الموقف في الميدان كله يظهر واضحا لعيني وانا في مكاني في غزة ·

لقد انتهت معركة دير سنيد بعد تضحيات غالية بالنصر برغم كل المصاعب التي كانت تحيط بقواتنا ·

وبعد المعركة صدرت الاوامر الى الكتيبة الاولى بالتقدم الى المجدل ·

وتقدمت الكتيبة التاسعة الى اسدود ، ثم صدرت اوامر جديدة الى الكتيبة الاولى بالاتجاه شرقا واحتلال عراق سويدان ·· والفالوجا ··· وبيت جبرين ·

وكنت اكاد افقد اتزاني وانا اتابع هذه التطورات التي كانت تنشرها صحف القاهرة قبل ان تتحرك قواتنا طبقا لها في الميدان .

ولم اكن استطيع ان ادرك الهدف من هذه الاعمال جميعا . لقد كان هم قيادتنا ان تحتل اكبر مساحة من الارض . وكانت النتيجة ان الكتائب الاربع توزعت على خطوط طويلة ، واصبحت قواتنا المبعثرة لا هم لها الا حماية نفسها ومواصلاتها .

ولم يعد هناك تحت تصرف القيادة احتياطي متحرك تستطيع ان توجهه الى ضرب العدو ، واصبح قائد الجيش المحارب .. قائدا بلا جنود . او هو في الكثير يحكم مجموعة من نقط الحراسة المبعثرة على جبهة واسعة .

وكنت ارى بوضوح اننا فقدنا تماما القدرة على المبادأة ، واسلمناها للعدو طائعين مختارين .

وكان هذا الذي كنت اراه في مكاني في غزة ، واضحا امام الضباط والجنود في الخنادق ، وكان له اثره المدمر على الروح المعنوية .. كان كل جندي يشعر بالنقص في السلاح ، واكثر منه يشعر بالنقص في الخطط .

واحس كل واحد ان القائد العام في الميدان لا يملك من امر قواته شيئا ، وانه لا يتصرف طبقا لاحتياجات الميدان ، وانما هو يتصرف تحت تأثير عوامل اخرى ابعدها عن حسابه ظروف الميدان .

وكان شعور الجنود والضباط بانهم تحت رحمة العدو ، وهم هناك في مراكزهم المعزولة المتناثرة ، يجعلهم يشعرون بانهم هدف منعزل محدد ثابت . امام عدو قادر على الحركة السريعة ..

وعاد الكلام في الخنادق مرة ثانية عن الحرب السياسية . وكانت كارثة « الحرب السياسية » ابغض شيء الى تفكيري في تلك الظروف ، فقد كنت اعرف من عبر التاريخ انه ما من جيش دخل حربا سياسية الا وهزم فيها ، وكانت آخر الامثال في ذاكرتي هزيمة « ويفل » في معركة اليونان .

ان الحرب يجب ان تكون حربا . والقائد في الميدان يجب ان يتصرف طبقا لظروف الميدان .

ولكننا كنا في حرب ولا حرب . وكان لنا قائد ولكن ليس له جنود لانه بعثرهم على جبهة واسعة بحيث اصبحوا قوات حراسة تكاد مع

التفاؤل الشديد تكفي لحماية نفسها فقط ٠

ووصلت كتيبة جديدة الى الميدان ·· وهي الكتيبة السابعة ·· وصدرت الي الاوامر بان اسلمها قطاع غزة ، لان كتيبتنا كان عليها ان تتقدم الى الامام وتحتل مراكز اسدود ٠ وكنت اشد الناس سعادة بهذه الاوامر ٠ كنا ـ اخيرا ـ سنلتقي بالعدو . ونخوض معركة ضده ٠ وكنت ـ مرة اخرى ـ سألتقي بعبد الحكيم عامر ، فقد كان هو اركان حرب الكتيبة التاسعة المحاربة في اسدود ، وكنت كأركان حرب للكتيبة السادسة سأتسلم منه ـ مرة اخرى ـ المواقع التي تحتلها كتيبته ٠

وقبل ان نتحرك من غزة جاءتنا اوامر غبية ٠ جاءتنا اشارة استعداد بان نجهز انفسنا لنجدة الجيش الاردني الذي كان مشتبكا في معركة الواد ٠

ولم تكن لدينا اي معلومات عن معركة باب الواد ·· وكان مدهشا في رأيي ان تكون لنا اربع كتائب في فلسطين ، ثم نتخلى عن واحدة منها ـ ربع الجيش المحارب تماما ـ ونبعث بها الى حيث لا ندري في باب الواد ٠

ولكن الاوامر من حسن الحظ الغيت ٠ وكنا على استعداد للتحرك ، ومضينا الى حيث كان علينا ان نمضي اولا ··· الى اسدود ··· الى حيث سنلتقي اخيرا بالعدو وجها لوجه ٠

والتقيت بعبد الحكيم في اسدود ٠ كان كما تركته لاخر مرة ، ابتسامته التي تبعث على الثقة ، وروحه الطليقة . وقضينا معا ليلة لا انساها ٠

كان فراشه في حفرة في حديقة برتقال ، ووضعت فراشي في نفس الحفرة على الناحية الاخرى من شجرة البرتقال ٠

ولم ننم طوال الليل ٠ كان الجو غريبا مثيرا ٠ كنا في اقصى المواقع الامامية قرب العدو ، وكان جهاز اللاسلكي بجوار عبد الحكيم ينقل اليه التطورات دقيقة بدقيقة ٠

وعلمت من عبد الحكيم لاول مرة ان هجوما سيقع في الغد على مستعمرة نيتساليم ، وابديت لعبد الحكيم قلقي من ان يتكرر امام نيتساليم ما حدث من قبل في دير سنيد ٠

وبدأ عبد الحكيم يهدىء قلقي ٠ قال لي انه تعلم دروسا عن دير سنيد ٠ وقال لي ان روح الضباط الشبان عالية لدرجة انه اجرى قرعة

بين السرايا لكي يحدد ايها يقع عليها مهمة قيادة الهجوم ، ولكن قائد احدى السرايا تطوع ورفض اجراء القرعة ، وكان هو اليوزباشي محمود خليف وكان احد افراد تنظيم الضباط الاحرار ٠

وتركني عبد الحكيم عند الفجر ومضى الى المعركة ٠ وقضيت يوما مشحونا ٠

كان علي ان ارتب مواقع كتيبتنا في مواقعها الجديدة ٠ وكنت مشغولا في الوقت نفسه بالذي يجري امامنا الى الغرب على الساحل في نيتساليم ، وكنت اتسقط اخبار المعركة ٠

وعند العصر جاءتنا الاخبار بان الكتيبة التاسعة نجحت في عملها ، وانها استولت على مستعمرة نيتساليم ٠

وعلمت ان خليف قائد السرية المتقدمة قد استشهد ٠ وعلمت ان عبد الحكيم عامر لم يطاوعه قلبه ، فمضى مع السرية المتقدمة ، وان شظية اصابته ، ولكنه سليم بخير ٠

وكانت تلك هي المعركة التي رقي فيها عبد الحكيم ترقية استثنائية في الميدان ٠

وقضينا الليلة والعدو يطلق علينا النار ونحن نبادله نيرانا بنيران ٠ ولكن خواطري لم تكن معي ٠ كانت تحلق فوق ارض الميدان كله ٠ كنت اقول لنفسي :

- ها نحن قد نجحنا في معركة نيتساليم ٠ ان روح الشجاعة لا تنقص ضباطنا وجنودنا اذن ٠ ولكن ذلك كان العامل المشجع الوحيد ، وفيما عداه كان الموقف كله يبعث على القلق ٠ كنت بخيالي اطوف الميدان كله فأجد قواتنا المبعثرة يقل تركيزها كلما اقتربت من الخط الاول لملاقاة العدو ٠ كانت منتشرة على مساحات واسعة من الارض على عددها القليل ، وكانت كما قلت قد تحولت الى نقط حراسة عليها ان تحمي نفسها ٠ ولم يكن هناك فائض قوات يمكن استخدامه في هجوم ٠

لم نكن نحارب كجيش ، وانما تحولنا بعد دخول فلسطين الى جماعات متفرقة على مراكز واسعة الانتشار ، وكانت النتيجة ان العدو نجح في تثبيتنا فيها ، واحتكر لنفسه حق الحركة وحشد القوات والهجوم علينا من حيث يريد ٠

وكنت اسأل نفسي والح في سؤالها :

- لماذا فعل قائدنا ذلك ... لماذا شتت قواته وبعثرها بهذه الطريقة٠

ـ لماذا سمح لنفسه ان يندفع في خط طويل مكشوف من كل ناحية امام العدو ٠

ـ ٢ ـ

وبدأت اخبار الهدنة تصل الينا في الخنادق ٠ وجاءتنا الاوامر بوقف القتال في السادسة صباحا من يوم الجمعة ٠ وعاد الكلام مرة اخرى عن الحرب السياسية ٠ ولكن العدو لم يأخذها حربا سياسية ٠ فقبل حلول موعد وقف القتال بساعات ، تلقيت الاخبار بان قوات منه قطعت الطريق بين المجدل واسدود ٠ واستطعنا مع العصر ان نخرج العدو بالقوة من المراكز التي كان يحصنها على طريقنا ، والتي لو بقي فيها لاستطاع أن يمنع النجدة والمؤن عن قواتنا في اسدود طوال فترة الهدنة ٠ وقدت سيارة الجيب عند العصر الى حيث الموقع الذي حاول العدو احتلاله . ورأيت لاول مرة جثث القتلى من جنوده وحولهم ما كان معهم من ذخائر ٠ ووقفت على ربوة عالية قرب هذا الموقع ، ومرة اخرى بدأت خواطري تسرح ٠

ها انا على ربوة عالية في فلسطين بين المجدل واسدود ٠ البحر بزرقته الداكنة يمتد على حافة الافق جليلا مهيبا ٠ والشمس الحمراء في موكب الغروب والوانه الرائعة تهبط وراء البحر ٠ وبالقرب مني جثث عدو يحاول ان يقتلنا وقد نجحنا في قتله ٠ والى الشرق مواقع قواتنا المتناثرة .. التي ادت كل ما طلب منها حتى الان رغم العقبات التي واجهتها والمصاعب التي سدت طريقها .. رغم الجبهة الواسعة .. رغم القوات المشتتة المبعثرة .. رغم الحرب السياسية .. رغم النار تندفع اليها بلا دروع تحميها ٠

والى الجنوب مقر قيادتنا التي تعيش في ميدان القتال وتحارب حربا سياسية ٠

والى الجنوب الشرقي عاصمتنا التي تتحكم في امرنا وتوجهنا الى حيث تريد ، وارادتها اليوم هي حرب ولا حرب ٠

وهناك بعيدا ... في نيويورك مجلس الامن حيث مجموعة من احد عشر رجلا قرروا فيما بينهم ان تقف المعركة التي نعيش فيها ، وعلينا ان نطيع ٠

وملأت رئتي بهواء البحر واستدرت الى سيارتي عبر جثث العدو المبعثرة قرب الطريق وانا اسأل نفسي :

ـ ماذا بعد ذلك ... ترى ما الذي يخبئه لنا القدر » .

كان حالنا قبل الهدنة حربا ولا حرب . وبعد ان عقدت الهدنة تطور حالنا الى سلام بغير سلام ..

وكان هناك شعور عام على خطوطنا بان القتال لن يستأنف مرة اخرى .. وكان المنبع الذي انبثق منه الشعور دون شك هو خرافة الحرب السياسية .

وما من شك ان ظواهر الاحوال اعدت هذا الشعور على ان يغمر خنادقنا .

كنا نخوض حربا بلا استعداد ، في كل ناحية كان يمكن ان يستعد لها جيش يحارب .. كان قائدنا في الميدان يخضع من القاهرة لتوجيهات هي آخر ما تقتضيه احتمالات الميدان .. وكان في نيويورك ـ حيث مجلس الامن ـ من يملك ان يفرض الصمت على مدافعنا باشارة من يده .

وظهر التراخي ـ نتيجة لهذا كله ـ على مواقعنا . وكنت من مكاني في اسدود كأركان حرب للكتيبة السادسة اراقب هذه الحال بقلق لا استطيع ان اخفيه .

وكان الذي يزيد من قلقي أنه في الوقت الذي يحدث فيه ذلك لناحيتنا من خط القتال .. تضج الناحية الاخرى بما يمكن ان يكون نقيضا له في كل شيء .

وكان في اسدود برج عال . وكنت اصعد الى اعلى البرج احاول ان امد بصري الى الناحية الاخرى .

لم يكن عليها هدوء . لم تكن تحكمها هدنة . كان النهار يكشف امامنا حركة متصلة . وكان الليل يفشي اسرارا يحاول اصحابها اخفاءها تحت ستار الظلام .

وكنت عندما يجيء الليل ، في كثير من الاحيان ، اترك مركز رئاسة الكتيبة الذي كان في مبنى محطة السكة الحديد المصنوع من الاسمنت المسلح واتجه الى البرج العالي . واقف هناك ساعات متصلة .. وعيوني متجهة عبر خطوطنا الهادئة الى الناحية الاخرى .

وكانت انوار المستعمرات البعيدة تبدو واضحة من ارتفاع البرج

العالي - وكنت المح انوارا كثيرة متحركة متجهة الى المستعمرات عائدة منها ·

كان الموقف العسكري كله من فوق البرج العالي ، يبدو أصرح واجلى ما يكون ·

كانت ايام القتال بالنسبة لنا حربا ولا حرب · وكانت بالنسبة للعدو حربا فقط ·

واصبحت ايام الهدنة بالنسبة لنا سلاما ولا سلام · ولم تصبح بالنسبة للعدو سلاما قط ·

وكانت الاخبار تصلني بانتظام بما يجري في الناحية الاخرى من الخطوط ·

وكان الموقف على الخريطة اشبه ما يكون بالموقف كما يبدو من قمة البرج العالي الذي يحمل فنطاس المياه ، لاسدود ·

في اول يوم للهدنة تحرك العدو ، فاحتل عبديس التي كانت قرية عربية تكاد تكون متداخلة مع خطوطنا ··

وتحرك العدو ايضا فاحتل بيت دوراس ·

وتحرك العدو فاحتل الجسير ·

وتحرك العدو فاحتل العسلوج ·

وتحرك العدو فاحتل جوليس ·

وتحرك العدو وحاول ان يدفع بعض قوافله المتسللة عبر خطوطنا الى المستعمرات المحاصرة في النقب الجنوبي ·

العدو اذن لم يأخذ الهدنة جدا · لقد كانت بالنسبة له فرصة للتعزيز - انه يقفز تحت ستارها الى مواقع حاكمة ، يستطيع منها - يوم تنتهي الهدنة - ان يبدأ عملياته من اكثر المراكز ملاءمة لاغراضه ·

كان الموقف واضحا لا خفاء فيه لمن يكلف خاطره فيلقي نظرة على الخريطة ، او يتجه بعينيه عبر الناحية الاخرى من خط القتال ·

ومع ذلك لم يبد في قيادتنا ما يدل على انها وعت المعنى الحقيقي لهذا الذي يجري امامنا ، وكان الذي يشغلها على ما يبدو في ذلك الوقت هو اعداد التقارير الضافية عما جرى من يوم بدأت المعركة حتى فرضت الهدنة ، وكان ابرز ما اهتمت به قيادتنا واسهبت في وصف تفاصيله هو كيف اقتحم الجنود مستعمرات العدو وهم يهتفون بحياة جلالة القائد الاعلى للجيش ، وهو ما لم يحدث بالقطع ، فان الجنود

المهاجمين كان يشغلهم من نيران العدو ما لا يمكن معه ان يخطر ببال واحد منهم ان يهتف « لجلالة القائد الاعلى للجيش » ٠

ومضت الايام ٠٠

ومع مضي الايام كانت همومي تزداد ٠ لم يكن هناك ما اشكو منه في اسدود ٠ فقد كان كل ما نحتاج اليه متوفر وزيادة ٠ كنا نعيش وكأننا في معسكر في القاهرة ٠ كانت الضحكات تملأ خنادقنا ، وكانت النكات تلف المواقع ٠ وكانت بعض النكات التي تضحكنا في ذلك الوقت خليقة بأن تبكينا ٠٠

واذكر ذات يوم اني التقيت بجندي من كتيبتنا ، وخطر في بالي - دون سبب محدد - ان أوجه اليه سؤالا احاول ان اعرف من ورائه مدى فهمه للذي نقوم به في فلسطين ٠٠

وقلت له : احنا هنا بنعمل ايه يا عسكري ٠

وقال الجندي ، ولن انساها طوال عمري : احنا هنا بنناور يا افندي..

وذهلت وقلت له : نناور ٠٠ نناور فين يا عسكري ٠

وقال الجندي بلهجة الذي يقرر حقيقة بدهية : في الربيكي ٠ (هي المنطقة الواقعة على طريق السويس ، والتي اعتاد الجيش المصري ان يقوم فيها بمناوراته كل عام ٠٠)

كنا اذن نناور في الربيكي ، ولم نكن نحارب في فلسطين ٠ او هكذا كان يعتقد جندي من كتيبتنا ٠ ولكن هل كنا نستطيع ان نلومه ٠

وضقت ذرعا بالبقاء في مركز قيادتنا ، فذهبت اتجول في المواقع واتعرف الى حقيقة الجو فيها بين الضباط ٠٠ ولا انكر اني في الحقيقة كنت احاول ان اضم بعضهم الى تنظيم الضباط الاحرار ٠٠

ولم اكن اتجه الى الامر مباشرة في احاديثي مع الضباط ، فلم اكن اريد ان اشغلهم عن الجو المحيط بهم مباشرة ، ولا ان اشتت افكارهم عن العدو الرابض امامهم متربصا بهم ٠ ولكن طريقتي في ذلك الوقت كانت ترتكز على عاملين :

ان اعطي الثقة لكل من اقابلهم ، والعامل الثاني ان اقوي صلتي الشخصية بهم الى ابعد حد ٠

وكنت واثقا - وبررت التجربة اسباب ثقتي - ان الثقة والصداقة كفيلتان عندما يحين الوقت المناسب ان تتحولا الى شيء اعمق ٠٠٠

وانا انظر حولي الآن ، فاجد وجوها كثيرة في تنظيم الضباط الاحرار

التقيت بها لأول مرة في الخنادق في تلك الفترة العجيبة من حياتنا في فلسطين ...

وقاربت الهدنة ان تنتهي . وكان لا بد لجو التراخي على خطوطنا ان يشعر بالخجل ووخز الضمير ...

وبدأت محاولات لتدريب الجنود . ووصلتنا احاديث عن نجدات سوف تصل الينا تتقدمها قوات مدرعة . وانعقدت في قيادتنا مؤتمرات لبحث الموقف عندما تنتهي الهدنة . وتلقت كتيبتنا في صباح ٢٨ يونيو امرا انذاريا بالاستعداد للهجوم في يوم لم يحدد بعد ... على هدف لم يحدد ايضا .

وكان هناك شيء غريب في هذا كله ، كان مفروضا ان يكون هذا كله جدا ، لكن شيئا ما ، نبرة خفية في صوت الحوادث كانت تحمل على الشك ...

كان هذا كله اشبه بالجد ... ولكن ـ وهذا هو الغريب ـ لم يكن جدا .

فقد كان الشعور بأن الهدنة دائمة ، وبأن القتال لن يستأنف مرة اخرى ، وبأن الحرب كلها مناورة سياسية ، لا يزال يملأ خنادقنا .

وحضرت في تلك الفترة مؤتمرا في رئاسة اللواء ... واذكر ان شعورا غريبا كان يملأ خواطري وانا اجلس الى مائدة الاجتماع في رئاسة اللواء . كان اليقين الكامل ينقص كل ما كان يدبر ويرسم من خطط . وخيل اليّ انني ارى مسرحا امامي . مسرح يحاول كل واحد من الواقفين فيه ان يتقن دوره ... ويبالغ في رسم معالمه ، ولكن كل واحد منهم يدرك انه مجرد دوره ثم ينتهي ويعود الى شخصيته الاصلية .

وكان هذا يتناقض مع روح القتال كما كنت اتصورها ، فأن مواجهة المعركة والتدبير لها ليسا مجرد دور يجيد ممثله او لا يجيد ، انه حياة وهو في كثير من الاحيان موت ايضا ...

ولكن اليقين كان ضائعا ... ومن هنا اختفت روح القتال الحقيقية ...

وفي يوم ٣٠ يونيو حضرت مؤتمرا حربيا ثانيا في رئاسة اللواء . كنت احضره كأركان حرب للكتيبة السادسة ، وكان مفروضا ان نتلقى فيه تعليمات قيادتنا عن الخطة المقبلة لقواتنا ساعة تنتهي الهدنة .

كانت الخطة هي القيام بعمليات هجومية على طول الجبهة .

وفي قطاعنا نحن كان الوضع كما يلي :

تتقدم الكتيبة السابعة - التي كانت قد وصلت الى الميدان قبل الهدنة بقليل - وتستولي على بيت دوراس ٠

يجيء دورنا نحن ، الكتيبة السادسة ، بعد ذلك مباشرة حين نتقدم الى احتلال الصوافير الغربية والصوافير الشرقية ٠

ولم يكن مفروضا بالطبع ان اناقش الخطة ، فلم نكن في المؤتمر لكي نناقش وانما لكي نتلقى الاوامر ، ويكون جوابنا عليها هو السمع والطاعة ٠

ولكني لم استطع ان امنع عقلي من ان يناقشها ، وان كنت كبحت جماح لساني عن ان ينطق بكلمة واحدة مما يدور في رأسي ٠ وكان الذي في رأسي سهلا منطقيا ٠ هذه الاهداف التي نرسم الخطط للاستيلاء عليها ، كانت يوم الهدنة - وقبلها بالضبط - خالية تمام من قوات العدو ٠٠ فلماذا سكتت قيادتنا عن احتلالها ٠

لماذا تركت العدو يصنع هذا في فترة الهدنة ، واعطته شهرا كاملا لكي يدعم مراكزه فيها ويحصنها ٠٠٠ وبعدها نعود نحن لنهاجم لكي نستولي ٠٠٠

بل اكثر من ذلك ، كانت هذه المناطق كلها خالية حتى الى ما بعد اسبوعين من قيام الهدنة ، وكانت دورياتنا تذهب اليها ، وبعض الدوريات كانت تعود من هناك بكميات من العنب الشهي ، كنا نسميه عنب بيت دوراس ٠ فلماذا لم تكلف واحدة من هذه الدوريات العائدة بالعنب لتبقى في بيت دوراس وتحتلها ، وبالتالي تمنع العدو من احتلالها ، وبالتالي ايضا توفر الجهد الذي سنبذله الان للاستيلاء عليها ٠٠٠ وبمعنى اخر كانت كل هذه المواقع امامنا ناخذها بدون قتال ٠٠٠

ولكن قيادتنا العامة آثرت ان تترك الفرصة السانحة للعدو لكي يستولي هو على هذه المواقع بدون قتال ، ثم يخوض جنودنا معارك حامية لكي يستردها من يده ٠٠٠

وكانت الافكار تتداعى في رأسي ، واحدة بعد واحدة ، وانا جالس في المؤتمر اسمع ولا اتكلم ، وفي رأسي ما فيه من خواطر ٠٠٠

اذن فأن قائد العدو هو الذي اخذ المبادأة في يده ٠٠٠ واذن فأن قائدنا لم يستطع ان يقدر قيمة هذه المواقع فتركها لخصمه ، ثم احس هو بعد خصمه بقيمتها ، فبدأ يجند الرجال لاستردادها ٠

ومع ذلك ، قلتها لنفسي ، وانا اطرح ما في رأسي كله جانبا :
- ان المهم الآن هو الواقع الموجود على الطبيعة ، ولنترك ما كان او ما كان يجب ان يكون ...

وعدت الى كتيبتي بعد المؤتمر في ذلك اليوم وقلبي تملأه الاحلام ...

كيفما كانت الاحوال المحيطة بنا ، فيجب ان نقف على اقدامنا ونخوض معركة مجيدة ...

كنت اريد ان افعل كل شيء من اجل كتيبتي ..

كنت اريدها ان تضرب مثلا في الميدان لغيرها من الكتائب ، وكنت احس على اي حال اكثر من غيري ، بالمصاعب النفسية التي تعيش فيها الكتيبة .

كانت الكتيبة ما زالت تعاني آثار التجربة التي واجهتها امام الدنجور . وصممت فيما بيني وبين نفسي ان نتلافى كل الاخطاء ، وان نحسب كل العوامل ، حتى لا يتكرر الذي حدث في معركة الدنجور .

وفي صباح اول يوليو ، والهدنة ما زالت تحكم ارض العمليات ، خرجت مع قائد الكتيبة وزملائنا من الضباط الذين ستقع عليهم مسؤولية العمل ، لكي نستكشف بعيوننا الميدان الذي سنحارب فيه .

ولكن الاستكشاف لم يكن سهلا كما تصورنا ، فاننا لم نستطع على الاطلاق ان نلقي نظرة واحدة على الصوافير الشرقية او الغربية ..

وكان السبب ان التبة العالية الممتدة امامنا تخفي الصوافير تماما عن انظارنا ، ولم يكن في استطاعتنا ان نصعد على التبة العالية ونلقي نظرة من فوقها ، لان بيت دوراس التي يحتلها العدو كانت ترتكز فوقها من ناحية ، ومن الناحية الاخرى كانت ترتكز على معسكر جوليس الذي يحتله العدو ايضا ..

وكان من رأيي انه لا بد ان تكون لدينا معلومات عن الهدف الذي ننوي ان نحارب من اجله ، وان تكون هذه المعلومات مفصلة ، والا تكررت كارثة الدنجور ..

وخرجت في اليوم التالي ومعي ضابطان ، اولهما ضابط مخابرات الكتيبة ، والثاني هو الملازم اول اسماعيل محي الدين ضابط فصيلة الحمالات .

وكان معنا اثنان من الجاويشية . اولهما الجاويش عبد الفتاح شرف الدين ، الذي لا يزال حتى الان صول شرف في القوات المسلحة ، والذي اعتبره من اكثر الناس بلاء في فلسطين · وثانيهما الجاويش عبد الحكيم ، وهو الان يعمل سائقا في المنيا ، وقد زرتهما منذ شهور قليلة ، وكان من أمانيّ ان التقي فيها بعبد الحكيم ··

كان يخالجني شعور بان الاستيلاء على الصوافير سيكون عملية سهلة ·

ولست ادري لماذا كنت اشعر شعورا خفيا بان قوات العدو فيها ليست مما يخشى خطره ··

وعلى اي حال ، فها نحن في الطريق لكي نرى بانفسنا ونستكشف

وتركنا سيارتي الجيب اللتين كنا نركبهما ، ثم بدأنا المرحلة الخطيرة من رحلتنا داخل مواقع العدو ·· كنا نخترق ارضا كلها حدائق ، وكنا نتسلل في صمت بين الاشجار · كان اسماعيل محي الدين يرحمه الله - فقد استشهد بعدها بقليل - يسير في المقدمة · وكنت بعده وبجواري ضابط المخابرات · وكان عبد الفتاح وعبد الحكيم يسيران على جانبنا وفي يد كل منهما مدفعه المتأهب لقذف النار ·

ولست اريد ان امضي في تفاصيل الخطر الذي كان يحيط بنا ، فأن ما ارويه هنا هو قصة جيش ، وليست قصة مغامرة ··

والمهم على اي حال ، اننا استطعنا الوصول الى موقع متقدم يقع وسط خطوط العدو ، ولقد بدت لاعيننا الصوافير الشرقية والصوافير الغربية ·

وقضينا نصف يوم نملأ عيوننا مما حولنا ·· تأملت كل نقطة في الصوافير ، ودرست احتمالاتها ، وقام ضابط المخابرات برسم تخطيط كامل لمنطقة معسكر جوليس وما يحيط به من تحصينات · ولقد وجدت ما يعزز رأيي الذي سبق ان كونته عن قوات العدو في الصوافير · لا بد ان عددها كان قليلا كما توقعت ·· كان كل شيء حولي يؤيد هذا الرأي ، حتى اشجار الكرم المثقلة بما كانت تحمله من عنب ناضج ، فلو ان قوات الصوافير كانت جموعا كبيرة ، لما تركت منطقة الحدائق التي كنا فيها خالية ، ولما تركت هذا العنب الناضج الحلو مدلى من شجرة ··

ولم يطل استمتاعنا بالعنب على اي حال .. فلقد لمحنا احدى دوريات العدو متجهة الى موقع النبي صالح ، حيث تركنا سيارتينا .. وهكذا بدأنا نتسلل عائدين ..

وعدنا في اليوم التالي الى منطقة النبي صالح ، واكتفينا بالوصول اليها ، فلم تكن بنا حاجة الى مغامرات الامس ، وفي هذه المرة كان معنا قائد الكتيبة وقواد السرايا . فقد اردت ان يرى كل منهم على الطبيعة دوره في العملية . وكان في رأيي ان هذا يحقق غرضين :

الاول ، ان ترتفع روح الكتيبة المعنوية بان تدرك تفوقها على العدو الذي تعلم كل شيء عنه وعن مواقعه قبل مهاجمته ..

والثاني ، ان تحقق الكتيبة من وراء ذلك نصرا يرفع اسمها بين الكتائب المحاربة في الميدان .

وفي يوم ٦ يوليو كنت استطيع ان افاخر بانه ما من كتيبة من الكتائب المتأهبة للعمل فور انتهاء الهدنة تعرف دورها مثل كتيبتنا .

كان كل واحد من ضباط الكتيبة يعرف عمله . وكنا جميعا على استعداد . كل الذي ننتظره ان تتحرك الكتيبة السابعة قبلنا فتحقق غرضها بالاستيلاء على بيت دوراس . وفي اعقابها نتقدم نحن الى الصوافير ...

ولكن الامور لم تسر على النحو الذي اعددنا انفسنا له . فان الكتيبة السابعة لم تستطع ان تقوم بدورها في الخطة .

ولم يكن الذنب ذنب الكتيبة . وانما جاءت الكارثة من مهزلة صنعها سوء الحظ .

كان المفروض ان تتقدم قوة سودانية وتقوم بهجوم ليلي على بيت دوراس ، وتقتحم مواقعها بالليل معتمدة على المفاجأة . وكان على القوة ان تطلق اشارة ضوئية خضراء اذا نجحت مهمتها . وحينئذ تتقدم الكتيبة السابعة في اعقابها لتدعم وتعزز . اما اذا لم تستطع القوة السودانية ان تتم اقتحامها فعليها ان تطلق اشارة ضوء حمراء وتبتعد قليلا عن بيت دوراس لان الخطة في هذه الحالة ان تركز مدفعية الميدان الثقيلة كل نيرانها على بيت دوراس .

ونجحت القوة السودانية في اقتحامها . ولكن الفشل كان يدخر جهده حتى اللحظة التي تطلق فيها الاشارة التي تنتظرها الكتيبة السابعة .

كان مفروضا ان تنطلق الى السماء المظلمة اشارة خضراء ، ولكن الجندي المكلف باطلاق الاشارة استعمل طلقة حمراء .

وحين ارتفعت الاشارة الحمراء في ظلام الليل ، بدأت مدفعية الميدان كلها على الفور تدق مواقع بيت دوراس التي تحتلها القوة السودانية .

وفشلت المعركة طبعا . فقد انسحبت القوة السودانية مسرعة . ولما هدأ ضرب المدفعية عاد العدو الى احتلال بيت دوراس من جديد .

وكنا نحن في الكتيبة السادسة نكاد نجن لهذا الذي حدث . كان معناه بالنسبة لنا ان تضيع الفرصة التي اعددنا انفسنا لها وتضيع معها الآمال التي منينا انفسنا بها . ومعها كل ما بذلنا من جهد واعددنا من خطط .

ولم يكن هناك ما نستطيع عمله الا ان ننتظر التطورات المحتملة ، وندعو الله ان تسنح لنا خلالها فرصة فنصنع الذي اعددنا كل شيء لكي نصنعه .

وفجأة تطورت الامور تطورا لم اكن اتوقعه . واعترف فيما بيني وبين نفسي ، انني لاول مرة وانا في الميدان رفعت صوتي محتجا ضد امر صدر الي من قيادتي .

كنا يوم ٩ يوليو جالسين الى الغداء في مركز رياسة كتيبتنا . ودخل جاويش يحمل مظروفا من رياسة اللواء عليه اسمي بوصفي اركان حرب الكتيبة السادسة . وفتحت المظروف وانا على الغداء ، وبدأت عيناي تجريان على سطوره . وفجأة احسست ان الطعام تحجر في حلقي .

كان الخطاب يحوي سطرين هما :

١ ـ تسلم الكتيبة السادسة مواقعها اليوم الى الكتيبة الخامسة المتقدمة من غزة .

٢ ـ تستولي الكتيبة السادسة باكر ١٠ يوليو على بلدة جوليس .

ولا بد ان ملامح وجهي فضحت ما كان يدور في نفسي وانا اقرأ هذا الامر ، فان كل من كان معنا على الغداء من الضباط توقفوا عن الطعام وتطلعوا الي .. وكان شعورهم مثل شعوري بعد ان عرفوا ما عرفت .

ها نحن نوجه الى معركة لم نعد انفسنا لها .

لم يقل لنا احد ما هي مواقع جوليس ، وما هي قوة العدو فيها . وما هي تحصيناته . وما هي قواتنا التي تعمل حولها . وما هي العمليات المحيطة بمنطقتها .

ولم يعطنا احد الفرصة لندرس فرضنا مثل ما فعلنا في الصوافير .

واحسست انه بالرغم من ارادتي ، وتحت سمعي وبصري ، توضع الكتيبة مرة اخرى في نفس ظروف الدنجور دون ان يكون بيدي ما اصنعه .

وبدأت احتج . ولكن ماذا يجدي احتجاجي .

كان الوقت كالسيف المسلط على اعناقنا . كان باقيا على غروب الشمس ثلاث ساعات هي آخر ما تبقى لنا من امل لكي نخرج في الضوء ونلقي نظرة على الهدف امامنا .

وخرجت مع القائد وقواد السرايا نحاول ان نقترب من جوليس الى اقرب ما يمكن ان نصل اليه .

واقتربنا في حمى احدى بيارات البرتقال حتى اصبح بيننا وبين جوليس ما يقرب من كيلومتر واحد .

ولم نستطع ان نبقى طويلا ، فان العدو على ما يبدو احس بوجودنا فبدأ يفتش المنطقة بقنابل الهاون .

ومن ناحية اخرى كان النهار يجري باسرع ما رأيت النهار يجري في حياتي ، وبدأت الشمس ترتمي في احضان الغروب .

ولم يكن هناك مفر من ان نعود ... وعدنا

وجلست بعد عودتنا الى مركز الرئاسة اضع الخطة .

لقد احس العدو اننا قمنا بالاستكشاف من ناحية بيارة البرتقال ، وسوف ينتظرنا في الغد لكي نهاجمه منها بالطبع .

واذن ، فلن يكون هجومنا الرئيسي غدا من هذا الاتجاه .

سوف نبعث قوة تطلق النار لكي يظن العدو اننا وقعنا في الشرك ، ولكن القوة الحقيقية التي ستنفذ الهجوم سوف تجيء من الخلف وسط مزارع الذرة وتنقض على مواقعه .

ووقع الخلاف بيني وبين قائد الكتيبة على دور المدفعية والطيران في المعركة .

كنت كضابط اركان حرب أؤمن بالعمل المرتب الموقوت بجداول محددة .

ورأى القائد ان يترك اليه امر توجيه المدفعية والطيران حسبما يرى حاجة على الطبيعة عند المعركة ·

ولم اكن اؤمن بهذه الطريقة . ولكن لم يكن امامي ما افعله بعد ان قال لي القائد : وحياتك يا اخويا بلاش الكلام بتاع كلية اركان حرب ده .

وبدأ الصباح يطلع على ارض المعركة ··· وعلى المعركة نفسها ·

كانت البداية كما اردت وتمنيت · ولكن الباقي ، كل ما جاء بعد البداية ، لم يسر ، لا كما اردت ولا كما تمنيت ·

وكانت اولى الخطوات على الطريق الذي لم ارده ولا تمنيته من قائد الكتيبة · فقد قال لي فجأة وهو يراقب عمليات المشاة : احنا بنعمل ايه هنا ··· ياللا نشوف عساكرنا تحت ·

وكانت تلك في تقديري روحا طيبة ، ولكنها كانت خروجا على العمل الذي يجب ان يقوم به القائد ·

ان مهمة القائد ان يمسك العملية كلها حتى لا تفلت ولكن مهمته ليست ان يترك الزمام ويجري الى التفاصيل ويشغل نفسه بها . وينسى قيادته المرجوة ساعة الخطر ·

وحاولت ان اقنعه برأيي ، ولكن الحماسة كانت قد ركبته

ونزلنا الى حيث كان جنود المشاة ، ولكننا لم نستطع ان نصل · فقد غرزت سيارتنا على الطريق ولم تستطع ان تشق سبيلها ·

ونزلنا ، القائد ، وانا ، وحراسه ندفع السيارة من حيث عجزت عن الحركة ·

واحسست اني افقد اعصابي ··· بنفس الطريقة التي احسست اننا نفقد بها المعركة ·

لم نبق في مركز القيادة حيث كان في الامكان توجيه المدفعية وتوجيه الطيران ، ولم نصل الى جنود المشاة المهاجمين على مواقع العدو ·

وعندما وصلنا اخيرا الى مشاتنا الهاجمين ··· بدأ قائد الكتيبة الطيب يفقد اعصابه · لقد التفت الرجل فوجد جنوده يتساقطون من حوله · بعضهم يقتل وبعضهم يجرح · وبدأ الرجل يصيح كالثور الهائج : العساكر بيموتوا ·

واقترحت عليه ان نتجه الى الناحية الاخرى لنرى كيف تسير

العملية . وذهب معي . وكان اول ما قابلنا اربعة من مدافع الهاون تنتظر دورها في المعركة . واذا القائد يصرخ قائلا : المدافع دي بتعمل ايه هنا .

ثم اذا هو يصدر امره بان تتقدم المدافع الاربعة . لكي تتمكن من ضرب جوليس . واذا هو يلتفت الي - انا اركان حرب الكتيبة - ويقول لي : اطلع معاهم

ونظرت اليه في دهشة . لقد كانت مهمتي كأركان حرب للكتيبة ان ابقى معه اساعده في ادارة العملية وتنفيذ الخطة التي رسمتها ... وكان في رأيي ان قيادة العملية باكملها قيادة صحيحة اهم الف مرة من مظاهرة شجاعة اخرج فيها باربعة مدافع هاون .

وكان الموقف حساسا . ولم اكن اريد ان اعارض قائد الكتيبة في رأيه حتى لا يتصور الرجل ان معارضتي له لا تخرج من عقلي . وانما تصدر من اعصابي .

ونظرت له . وفي نفسي ما فيها . وقلت له كلمة واحدة : حاضر

وانطلقت مع المدافع الاربعة وسط حقول الذرة الى ان اصبحت جوليس في متناول مرماها

وبدأت مدافع الهاون تطلق قنابلها . ولكنني لم اكن اسمع الدوي . فقد كنت اتصور حال الكتيبة التي افلت زمامها .

واحسست ان قلبي يتمرد علي . وعقلي يتمرد على قائدي . وكنت مطمئنا الى وضع مدافع الهاون . فقررت ان اعود لكي احاول ان امسك الزمام قبل ان تقع كارثة .

وقال لي اول ضابط لقيته بعد ان خرجت من حقول الذرة . ان اسماعيل محي الدين قد قتل .

ولست اظن ان من حقي ان اخفي اليوم مشاعري الانسانية . اني اعترف اني لحظتها فقدت سيطرتي على عواطفي واذا دموعي تفلت . واذا انا ابكي بحرقة لم اشعر بها من قبل في حياتي . كنت ابكي على زميل سلاح شجاع سقط في المعركة . وكنت ابكي على المعركة نفسها وزمامها في يد الريح .

ووصلت الى مركز الرياسة ولم يكن فيه احد . وسألت عن القائد واذا هو خرج الى حيث لا يعرف احد . وبدأت اطالع في لهفة الاشارات التي تلقتها الرياسة من سراياها المبعثرة في الميدان .

واحدة منها تقول : « وصلنا الى الغرض ... ما هي اوامركم » .
وثانية تقول : « نحتاج الى ذخيرة » .
وثالثة تقول : « وصلنا الى الغرض .. ارسلوا حمالات لنقل الجرحى » .
وكانت الكارثة . انها كلها اشارات يعود ارسالها الى وقت مضى .
فما الذي جرى لهذه السرايا في مواقعها . وكيف واجهت الموقف وحدها وقيادتها لا ترد عليها .
وحاولت ان اواجه الموقف بقدر ما استطيع . وحاولت ايضا ان اتصل بقواتنا الموجودة غرب جوليس . ولكن هذه القوات لم تكن ترد على اشاراتنا لها .
ثم فهمت السر حين وصل الي احد راكبي الموتوسيكلات يقول : « ان القائد اصدر امره بسحب القوة الموجودة الى الغرب . وهو يطلب مني ان اسحب القوات الهاجمة من الجنوب » .
ولكن كيف اسحبها .
لقد سحب القائد القوة التي كانت تضلل العدو عنا . دون اخطاري او اخطارها .
وبدأت ارى بوضوح ان كارثة تحلق فوق رؤوسنا . وكان الذي يحز في نفسي ان القوة المتقدمة من الجنود للهجوم الاصلي كانت تشق طريقها بنجاح .
وفعلت ما كنت مترددا في عمله طول الوقت .
تخطيت قائدي المباشر . قائد الكتيبة . واتصلت بقائد اللواء اشرح له الموقف .
وعلى اي حال فقد تحول هدفنا بعد ذلك من محاولة الاستيلاء على جوليس الى عملية يائسة لانقاذ قواتنا من الفخ الذي كادت تسقط فيه وقضيت ليلة حزينة .

— ٣ —

احسست ان كتيبتنا قد فقدت روحها المعنوية . وان روحها العسكرية تفترسها الشكوك . وانها بالتالي لم تصبح سهلة القياد .
وفي الصباح جاءنا امر من رياسة اللواء : « قائد الكتيبة السادسة يسلمها الى قائدها الثاني وينزل هو الى القاهرة » ..

ومن قلبي احسست بالرثاء للقائد الجديد · ولكن شعوري بالرثاء لم يدم طويلا ، فقد وصلنا امر آخر بعد ساعة واحدة نصه كما يلي : « تقوم الكتيبة السادسة باحتلال جوليس اليوم » ·

وكان رأيي ان هذا مستحيل · وكان القائد الجديد مترددا · كان مقتنعا بما شرحته له عن الروح المعنوية في الكتيبة ، وعن حالتها ، ولكنه كان مترددا في ان يأخذ برأيي ويعترض على هذا الامر حتى لا يقال ان اول عمل له بعد ان اصبح قائدا للكتيبة هو خوفه من ان يخوض بها معركة ·

وقلت له : ليس امامك خيار ، ولن تفقد شيئا على اي حال ، اذا اعترضت فقد يكون هناك احتمال بنقلك من قيادتك تلاحقك الهزيمة ، وهو امر محقق ·

واقتنع القائد بمنطقي وقال لي : تجيء معي الى القيادة العامة ·

وقلت له : اجيء معك

وبينما نحن ندخل رياسة القوات بعدها بساعة واحدة، لقيت غرفة على بابها لافتة باسم: مكتب المساعدة الجوية·

ومررت عليهم اسألهم ان كان عندهم معلومات من جوليس، واطل ضابط في المكتب يقول لي: عندنا مجموعة من الصور الكاملة للمنطقة من الجو·

وسألته: هل استطيع ان اراها·

ووضع الضابط امامي مجموعة كاملة· وبدأت اتأمل الصور، واذا انا اكتشف حقيقة عجيبة· ان جوليس نفسها الواقعة في سفح التبة ليست لها اي قيمة، والمهم هو معسكر جوليس القابع فوقها على قمة التبة· ولو فرض ونجحنا في دخول جوليس لكان معسكرها من فوق القمة قد صنع منها مصيدة ومقبرة في نفس الوقت لقواتنا·

وبعد مناقشة قصيرة أعتمدت على صور عثرت عليها بمحض الصدفة، اقتنعت القيادة العامة لنا بان الاستيلاء على جوليس كارثة من حسن حظنا ان نعدل عنها· وعدت الى مركز رياستنا وخواطري ثائرة على كل شيء· ثائرة على انه بمحض الصدفة فقد نجونا من كارثة محققة· ثائرة على معلومات قيمة تضمنها صور التقطها الطيران فوق هدف كنا سنهاجمه، ومع ذلك فما من احد فكر في ارسالها الينا· ثائرة على الذقون الحليقة الناعمة والمكاتب المريحة المرتبة في مبنى القيادة

العامة. ولا احد فيها يدري بماذا تحس القوات المحاربة في الخنادق....
ولا مدى ما تعانيه من الاوامر التي تصدر اليها بغير حساب.

ومع ذلك فلم تكن هناك فائدة ترجى من هذه الثورة. وكان الاولى والاجدى ان ادخر اعصابي للمعركة الجديدة التي لم تلبث ان وصلتنا الاوامر بالاستعداد لها.

وكانت المعركة الجديدة نموذجا صادقا لكل ما خاضته كتيبتنا حتى الان من معارك. كانت هي الاخرى معركة على خريطة. احدهم في القيادة العامة نظر الى خريطة ملونة واحس - وبيده الحق في هذا الاحساس - ان لهذا الموقع اهمية قصوى، فوضع اصبعه عليه وارسل الينا امرا باحتلاله. ولكنه لم يبعث لنا مع الامر بشيء يساعدنا على التنفيذ.

ولم تكن تلك التي تصلنا من قيادتنا العامة اوامر عمليات، ولقد كنت اسميها قصاصات ورق، وما اظن انني اخطأت كثيرا في هذه التسمية.

كان الموقع الجديد الذي يتعين علينا احتلاله لقطع مواصلات مجموعة المستعمرات الحاكمة على مدخل النقب، مكشوفا بطريقة مروعة امام نيران مستعمرة نجبا، وكذلك كان الطريق المؤدي اليه من اوله الى اخره.

وجاءني قائد السرية التي كان عليها ان تذهب لاحتلال الموقع يقول لي: هذه العملية بلاهة وجنون.

وكنت في ضميري مقتنعا بان الذي يقوله لا يبتعد كثيرا عن الحقيقة، ولكنني كنت في نفس الوقت اشعر بالاهمية الخطيرة المعلقة على تقاطع الطرق فان عملية الاستيلاء على مستعمرة نجبا رسمت خطتها كلها على اساس احتلال هذا الموقع.

وقلت لقائد السرية: سوف اذهب معك.

وخرجت معه ومع قوته، وكانت الساعة الثالثة صباحا. وعندما طلعت شمس الصباح كنا نحتل تقاطع الطرق، وكان جنودنا يحفرون عليه مواقع يكمنون فيها، وكان ثباتهم رائعا رغم النار المركزة عليهم.

وبدأت معركة نجبا، وكانت السرية في مواقعها رابضة في غير حاجة الي، وقررت ان اعود الى المعركة. والتقيت عند نهاية الطريق المكشوف بأركان حرب اللواء وكان قادما ليستطلع الموقف. ودهش اركان حرب اللواء، فلم يكن يتصور ان الطريق الى مركز تقاطع الطرق

مكشوفا الى هذا الحد، ولم يكن هناك مفر من ان يركب حمالة مصفحة اذا اراد ان يعبر الطريق في وضح النهار. وعدت معه في الحمالة المصفحة. وقررنا العودة بعد قليل، ثم وقعت حادثة من تلك الحوادث التي يتفنن القدر في حبك مواقفها. سمعنا ضربا قريبا منا في حقل الذرة. وقال لي اركان حرب اللواء: هذا الذي يضرب قريبا منا... هل يعتقد ان الدنيا خالية امامه.

ثم اقترح قائد اللواء ان ننزل الى حقل الذرة بالحمالة المصفحة نطارد الضاربين عن قريب في جوار مواقعنا. وهبطت الحمالة الى حقل الذرة وتجولت فيه، واذا السكون يسود، واذا الطلقات التي كانت تئز من داخله تلوذ بالصمت. وتجولنا هنا وهناك وسط حقل الذرة ولا خس ولا خبر. ولم يكن هناك ما يبرر ان نضيع وقتا اكثر مما اضعنا في حقل الذرة، فبدأت الحمالة تدور حول نفسها عائدة الى الطريق. وكانت هناك لحظة خطيرة كنت اعمل حسابها واحسست بهاتف خفي يحذرني منها... هذه اللحظة هي الثانية التي تعود الحمالة فيها فتصعد بمقدمتها على الطريق المرتفع عن حقل الذرة، فان سطح الحمالة كله في هذه الثانية سيكون معرضا مكشوفا امام حقل الذرة.

ولم يكن الهاتف الخفي... وهما... وان كنت لا اعرف على وجه التحقيق ما هو.

في نفس الثانية التي انكشف فيها سطح الحمالة وهي ترتفع الى الطريق انطلقت المدافع الصامتة من حقل الذرة.

وفجأة احسست بشعور غريب في صدري. شيء ما صدمه صدمة خفيفة.

والتفت فوجدت صدري كله غارقا بالدماء. وادركت على الفور انني اصبت... دخلت طلقة في صدري ناحية القلب.

واخرجت منديلي من جيبي احاول ان اوقف النزيف، وروحي كلها يملؤها شعور غريب. لم اكن خائفا، ولم اكن نادما، ولم أكن حزينا. كان كياني كله سؤالا واحدا: اهي النهاية.

ولم اجزع لهذا السؤال. ولست ادري لماذا ذكرت لاول مرة منذ جئت الى فلسطين ابنتي هدى ومنى، وذكرت بيتي، وذكرت اسرتي.

كيف سيكون وقع النبأ عليهم.

وفجأة ذكرت جنودي ايضا: كيف ستسير المعركة من غيرى.

ماذا سيقول كل منهم عندما يصله الخبر.
وكانت في قلبي سكينة عجيبة. وكان في روحي رضاء وصفاء.
والتفت الي اركان حرب اللواء الجالس بجواري يحاول ان يصنع اي شيء وكل شيء من أجلي قلت له: اشعل لي سيجارة
وامسكت السيجارة بيدي واليد الاخرى ما زالت تحاول ان توقف سيل الدم المتدفق من صدري. وجذبت نفسا طويلا عميقا. وتنهدت وانا اغمض عيني. وكانت الحمالة تجري بي مسرعة الى مستشفى المجدل.
ومرت امام ذاكرتي... وعيناي مغمضتان وفي احدى يدي سيجارة. وفي الثانية منديل احاول ان اوقف به نزف الدم المتدفق من اثر رصاصة دخلت فيه... مرت مشاهد كثيرة من الماضي كانها شريط من الرؤى المتدفقة بعضها وراء بعض... الاحلام والامال... الطفولة والصبا والشباب... الاسرة والبيت وابنتيّ تلعبان في حجراته... تنظيم الضباط الاحرار والخطر المحيط به... تجربة الميدان ومتاعبها واهوالها.... وجنودنا وضباطنا والاعمال التي قاموا بها حتى الان رغم كل ما احاط بهم.
وفتحت عيني مرة اخرى... وجذبت نفسا طويلا عميقا من السيجارة المشتعلة في يدي...وكانت الحمالة لا تزال تكر على الطريق متجهة بي الى المستشفى.
نظرت الى الطبيب الذي فحصني بعد ان وصلت مستشفى المجدل في دهشة. وانا لا اكاد اصدقه فيما يقول:
لقد كان تحليله لظروف الرصاصة التي اصابت صدري اغرب من ان يقبل بسهولة.
كنت قد دخلت عليه. وانا واثق من موضع الاصابة. ومن نزيف الدم من صدري. ان الجرح نافذ. وان الرصاصة وصلت الى حدود القلب.
ورفعت منديلي الغارق بالدماء. والذي كنت احاول به ان اوقف الدم المتدفق من صدري. ونظرت الى الطبيب وقلت له: صارحني بالحقيقة ولا تتردد
وبدأ الطبيب يفحص الجرح وهو يهز رأسه بطريقة لم استطع ادراك مدلولها.
وبدأت اتعجل سماع رأيه. فقلت له: اهو جرح نافذ.
وابتسم الطبيب وهو لا يزال يهز رأسه ، ثم قال : اعذرني ... فأننا

لا نرى مثل هذه الحالة كل يوم .

ثم سألني : هل تعرف ما حدث لك .

قلت : اعرف اهم ما فيه على الاقل ... لقد اصابتني رصاصة في صدري .

قال : هذا صحيح ... ولكن هل تعرف كيف اصابتك .

وقلت له ، وقد بدأت اضيق بهذه المناقشة : كما يصيب الرصاص اي واحد من الناس .

وهز الطبيب رأسه ينفي نفيا قاطعا وقال : لا ... لقد اصابتك رصاصة ، ولكن بطريقة تختلف عن اصابة بقية الناس بالرصاص ... ان الطلقة التي اصابتك اصطدمت بالجدار المصفح للحمالة التي كنت تركبها ، فحدث لها شيء غريب لا يحدث عادة للرصاص ... لقد انفصلت الرصاصة نفسها عن غلافها المعدني ... وطاشت الرصاصة عنك ، اما الذي دخل الى صدرك فكان غلافها المعدني فقط .

واستلقيت امام الطبيب على مائدة العمليات ، وبدأت مشارطه تجري حول مكان الاصابة ، وبعد عشر دقائق قال لي وهو يناولني قطعا من شظايا النيكل الممزق : خذ ... احتفظ بها .

وامسكت الشظايا الممزقة التي كانت مستقرة في صدري ووضعتها في راحة يدي ورحت اتأملها ... وحين سألت نفسي : ماذا كان يمكن ان يحدث لو أن الامر جرى على العكس ... لو ان الرصاصة حينما اصطدمت بالجدار المصفح للحمالة وانفصلت ، كان الغلاف هو الذي طاش وكانت الرصاصة نفسها هي التي اتجهت الى صدري .

حين سألت نفسي هذا السؤال ، وجدت روحي كلها اقرب ما تكون الى الله وانا اغمغم في سري : الحمد لله .

كان مستشفى المجدل كله خاليا الا مني . كنت حين وصلت اليه في الصباح النزيل الوحيد في كل عنابره . ولقد كان اول ما خطر الى ذهني بعد ان عرفت حقيقة اصابتي ... انني لم آكل شيئا منذ وقت طويل . وطلبت فنجانا من الشاي الساخن ، اخذت احتسيه بهدوء ، وعقلي ما زال يدور حول الطريقة الغريبة التي نجوت منها .

واحسست بعد فنجان الشاي ان شهيتي قد تفتحت وانني اشعر بالجوع كما لم اشعر به ابدا ، وطلبت طعاما . وتلقيت صدمة حياتي لما قيل لي : ليس عندنا طعام .

وقلت بدهشة : كيف ... انني جائع ·
وقيل لي ان المفروض ان تبعث اليك كتيبتك بطعامك الى هنا ·
ونظرت الى الذي قالها لي ، وقلت له مستنكرا : كتيبتي ·
وعدت اكرر مرة اخرى : كتيبتي · كتيبتي ·
ثم نظرت اليه اقول : اين هي كتيبتي ·
وقفز الى خيالي ، والى اعصابي ، فجأة احساسي بكتيبتي ... اين هي ·

لقد تركتها لآخر مرة منذ ساعات قليلة في وضع لا تحسد عليه · تركتها مشتتة على مواقع مفتوحة مكشوفة · تركتها وقد اصدرت اليها قيادتنا امرا بأن تدخل وسط العدو لكي تحاصره ·

وهززت رأسي والصورة الكاملة للحالة التي تركت عليها كتيبتي تملأ وجداني ، وعدت اقول وكأنني اكلم نفسي بصوت عال :

- نعم ، هذا هو الذي فعلوه تماما ... قالوا لنا ادخلوا وسط العدو لكي تحاصروه ، ولكن كيف نحاصره وهو يحيط بنا من كل جانب ·

لقد حدث ما كان يجب ان يحدث · حينما اصبحنا وسط قوات العدو ، اصبحت قواته هي التي تحاصرنا وليس نحن الذين نحاصر قواته · ولكن كيف كان يمكن ان ندخل في وسطه ونصبح مع ذلك نحن الذين نحاصره ·

نعم ... كيف · ... كيف فكروا في ذلك ·

وافقت من خواطري على صوت الذي طلبت منه الطعام في مستشفى المجدل وهو يقول : هيه ... هل رتبت مع كتيبتك ان تبعث اليك بطعام ·

وقلت له ، ونصف ابتسامة مغتصبة تمر على شفتي : ليست كتيبتي في مواقعها التي هي فيها تجد من يبعث اليها بطعام ·

ونظر اليّ الرجل وقال لي : لا افهمك ·

وقلت له وانا انهي المناقشة : ليست هذه مشكلة ملحة على اي حال ... هل اجد عندك من يذهب الى السوق لكي يشتري لي طعاما ·

وحين عاد احد الجنود من السوق بعد ان اشترى لي رغيفا من الخبز وخمسة اقراص من الطعمية وعنقودا من العنب ، وجدت شهيتي قد ضاعت مني ... ووجدت ان الطعام هو آخر ما كانت تطلبه نفسي ·

واستلقيت على سرير المستشفى منهوك القوى · كان التعب المادي

والمعنوي الذي عشناه في الايام الاخيرة قد بدا يجتر عظامي واعصابي ·

ومع اني كنت بجسمي مستلقيا على الفراش ، فأن عقلي لم يكن مستلقيا معي ·

لم استطع ان ارغم تفكيري على ان يمنح نفسه اغفاءة قصيرة تريحه بعد مجهود عنيف · كان خيالي هناك في المواقع مع كتيبتنا · وكان هناك شيء يضغط على ضميري ·

لقد كنت اركز العمل كله في يدي كأركان حرب للكتيبة ··· فكيف الآن تجري الامور من غيري ·

من الذي تقدم ليحمل المسؤولية التي سقطت عن كتفي ، وما هو تأثير عمله على الضباط وعلى الجنود في مواقعهم ·

وهتف بي خاطر : ماذا تفعل انت هنا وهم وحدهم هناك ·

ومضى الخاطر الهاتف : ان جرحك غير نافذ ، فما هو معنى بقائك في المستشفى ، شظايا نيكل دخلت صدرك ·

وهممت بأن اقوم ··· ارتكزت بمرفقي على حافة الفراش وبدأت ارفع جسدي ، ولكنني لم استطع ان امضي في المحاولة الى آخرها ··· وتركت الجزء الذي كنت قد تمكنت من رفعه من جسدي يعود فيرتمي على الفراش من جديد ·

كنت متعبا ، وكان تأثير الصدمة ، صدمة الاصابة ، وتأثير الدم الذي نزف من صدري ما زالا طاغيين على اعصابي ·

وعزمت فيما بيني وبين نفسي ان استسلم للراحة قليلا ، ثم اهب بعدها لكي الحق بكتيبتي في مواقعها التي تركتها عندها ·

ولكنني لم استطع ان استسلم للراحة ابدا ··· فجأة احسست بالمستشفى كله يموج بالحركة · كنت منذ دقائق نزيله الوحيد ···

ولكنه فجأة بدأ يضيق بالوافدين عليه ، وادركت على الفور ان هذه هي نتائج المعركة الدائرة حول نجيا · وتركت فراشي ملهوفا واسرعت الى الطواف بعنابر المستشفى كلها ·

كان المفروض في مستشفى المجدل ان يكون اسعافا سريعا ، ولم يكن مفروضا ان يبقى فيه بعد الاسعاف السريع الا ذوو الاصابات الخفيفة ، اما الحالات الخطرة فقد كانت بعد الاسعاف السريع ترحل فورا الى غزة ·

ويظهر ان المستشفى من كثرة الذين جاءوا اليه ، لم يستطع حتى ان

يمارس مهمة الاسعاف السريع ، فبدأ يحول الواصلين اليه الى غزة مباشرة بعد ان ضاق بالذين ملأوه في ساعات قليلة ·

كان الحال حولي مروعا · كانت كل الملابس من حولي مصبوغة بلون الدم · وكانت هناك تأوهات ، وآلام يحاول اصحابها ان يكبتوها ويتشجعوا · وكان هناك زميل سلاح اخترقت رصاصة خوذته فوق رأسه ومزقت فروته · وتأملت خوذته واصابته ، واحسست اني كنت اكثر من محظوظ ، وكان هناك زميل من سلاح آخر اصيب بصدمة عصبية · كان شابا وكنت اعرفه ، فقد كان تلميذي يوم كنت مدرسا في الكلية الحربية ، وكان يهذي من صدمته بما لا يعي · وتصورت يوم جاءنا في الكلية لأول مرة يرتدي الملابس المدنية ، وذكرته في مراحله المختلفة ونحن نصنع منه جنديا مقاتلا · وها هو ذا يعيش التجربة التي كنا نعده لها ·

وقضيت الليل كله ساهرا ، لا يقترب النوم من عيني · كنت افكر فيمن حولي وفي البعيدين عني في المعركة · وكنت افكر في الحرب نفسها ·

واحسست من قلبي اني اكره الحرب ··· ليست هذه الحرب التي كنا نخوضها بالذات ، ولكن فكرة الحرب نفسها ·

احسست ان الانسانية لا تستحق شرف الحياة اذا لم تعمل بقلبها من اجل السلام ·

ووجدتني اقول لنفسي : ما هذا ··· اننا نسفك دم انسانيتنا بهذه الحياة التي نحياها في ميدان القتال ·

اكون جالسا مع صديق ونفترق ، وبعد دقائق يدق التليفون وارفع السماعة ، ويقول لي احدهم : ان فلانا قد مزقته قنبلة ·

ولا اتأثر ، فأنه لا ينبغي لجندي ان يتأثر في ميدان قتال ، وانما عليّ ان اقول ببساطة : « حسنا ··· ابلغوا جماعة الدفن » ·

ولست ادري لماذا وجدتني اقطع عهدا على نفسي : لقد عاهدت نفسي انني لو كنت مسؤولا في يوم من الايام في بلدي فسوف افكر الف مرة قبل ان ادفع بجنودنا الى حرب ··· لن ادفعهم اليها الا حيث لا يكون مفر ··· حين لا تكون هناك وسيلة اخرى غيرها ··· حين يكون شرف الوطن مهددا وكيانه في مهب العواصف وما من شيء ينقذه الا نيران معركة ·

واستيقظت في الصباح على احساس غريب ... احساسا بأن احدا ينظر اليّ ويحملق · وفتحت عيني ... وكانت هناك عينان مسمرتان عليّ في ذهول · وكان زميلا من اصدقائنا في رئاسة القوات ، وقال وفمه ما زال مفتوحا من الدهشة : انت هنا ·

قلت : نعم ... اي غرابة في ذلك ·

قال : لقد كتبوا اسمك امس في قائمة الخسائر ... وفي قائمة القتلى وظننت حين رأيتك على هذا السرير اني ارى جثتك او ارى شبحك ·

وقلت له : ها أنت ذا تراني حيا أمامك ·

ثم استدركت قائلا : هل تستطيع ان تخطر رئاسة القوات انني لم امت بعد ، حتى لا تتلقى اسرتي اشارة تنعاني اليها شهيدا في ميدان القتال ·

— ٤ —

ولم تكد تمضي ساعات قليلة من النهار حتى دخل العنبر الذي كنت فيه ، قائد كتيبتنا · وقبل ان يسألني عما جرى لي ... كنت احاول ان اطمئن منه على كتيبتنا · ولم يكن في الذي سمعته كله شيء واحد يدعو الى الاطمئنان · ان السرية الامامية التي تقدمت معها في الفجر الى مواقعها على تقاطع الطرق بين نجيا والمستعمرات الاخرى قد اصبحت في خطر · ان العدو لم يعطها الفرصة لكي تحفر خندقا او تحصن موقعها او تمد سلكا شائكا · ان النار مركزة عليها ، ولا يستطيع جنودنا هناك ان يرفعوا رؤوسهم ·

ومع ذلك استطاعت السرية ان تصمد · ردت على العدو نارا بنار ... وهجم عليها المشاة من جنوده ليلا فجرى اشتباك بالسونكي والقنابل اليدوية ، وارتد العدو تاركا اسلحته وقتلاه على ارض المعركة ، وعاد جنودنا الى مواقعهم يقبعون فيها كأنهم كتل من الصخر ·

وتضاعف احساسي بالقلق على السرية الاولى المتقدمة من كتيبتنا عندما سألت القائد : ماذا جرى في المعركة الاصلية ضد نجيا .... المعركة التي ذهبنا فيها هناك الى الموقع المكشوف على تقاطع الطرق لكي نساعد على انجاحها ·

وقال لي القائد وهو ينفخ الهواء من أنفه ويزم شفتيه : لقد فشلت معركة نجبا ·

لقد كانت الكتيبة التاسعة تهجم عليها بالمشاة فقط ... وظل قائدها

يبعث بالجنود موجة بعد موجة ، متقدمين تحت نار العدو حتى سقط منهم عدد كبير ٠

واكتشف قائد الكتيبة التاسعة ان نصف جنوده وضباطه قد سقطوا على ارض المعركة ... وهم يأمرهم جماعة بعد جماعة : تقدم .. تقدم .. ، فاضطر بعدها ان يوقف الهجوم ويعطي امرا للباقين من قواته بان ينسحبوا الى مواقعهم ٠

ومضى قائد كتيبتنا يعلق على ما حدث : هل يمكن ان ينجح هجوم على مستعمرة محصنة من غير دبابات ٠

وكان عقلي قد شرد الى وضع سريتنا الاولى المتقدمة ... السرية التي ذهبت معها ووضعتها في مكانها بين المستعمرات لكي تمنع وصول امدادات من الخلف الى نجبا .. ماذا جرى لها ٠ سوف تتحول قوات العدو كلها اليها بعد ان توقفت المعركة الاصلية ٠

وسألت قائد كتيبتنا في لهفة : هل سحبت هذه السرية المتقدمة من مكانها ٠

وهز الرجل رأسه وقال بحسرة : لا ....

قلت وانا اهم قاعدا على السرير : لا ... لم تسحبها .. لماذا ٠ هل تريد ان تتركها لينزل عليها العدو بكل قواته ويبيد جنودها واحدا واحدا ٠

وقال القائد بيأس : ماذا اصنع .. لقد اتصلت برياسة اللواء الثاني الذي تتبعه كتيبتنا اطلب منهم الامر لكي اسحبها ، فقالوا لي لا شأن لنا بك .. انت تابع للواء الرابع ، فان المعركة التي دخلتها في معاونة الكتيبة التاسعة .. وهي تابعة للواء الرابع ٠

وصحت بالقائد : ولماذا لم تتصل باللواء الرابع ٠

وقال القائد واليأس يمزق الفاظه : اتصلت بهم .. وقالوا لي انت تابع للواء الثاني وعليك ان تتلقى منه اوامرك ٠

وقفزت ارتدي ملابسي .. وانا اقول لقائد كتيبتنا : هيا بنا الى هناك .. لقد جن هؤلاء الناس وفقدوا صوابهم ٠

كان اول ما فعلت حين دخلت مركز رياسة كتيبتنا ان اسرعت فاتصلت بالسرية الاولى احاول ان اعرف على وجه التحديد حقيقة موقفها ٠

كان حالها اخطر مما تصوره خيالنا ٠ كان العدو يحاصرها من ثلاث

جهات ، وكان لا بد من خطة مدروسة حتى آخر التفاصيل لكي نستطيع انقاذها من هذا الوضع الذي تركت فيه · وكان لا بد - في رأيي - من معونة من المدفعية ·

وذهب قائد الكتيبة الى مركز رياسة اللواء الرابع يطلب الموافقة على سحب السرية اذا لم تكن هناك خطة لا نعرفها تتطلب بقاءها حيث هي ·

ومع اني كنت اعرف انه ليست هناك خطة على الاطلاق ، فلم يكن هناك مفر من استئذان رياسة اللواء قبل البدء في العملية ، خصوصا اننا كنا سنطلب منها اقصى معونة من المدفعية ·

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وافقت الرياسة اخيرا على سحب السرية · وكان لا بد ان يكون مع السرية في انسحابها ضابط من المدفعية لكي يستطيع توجيه النيران الى مواقع العدو المحيط بالسرية · وكان لا بد من ادخال احد ضباط المدفعية الى مواقع السرية المحاصرة ·

واخذت ضابط المدفعية في سيارة مدرعة ، وذهبت معه بنفسي ، فقد كنت اعرف الطريق الذي عبرته مرارا واصبت عليه ، وكان من الخير ان اذهب معه انا بدل ان يذهب واحد غيري لا يعرف الطريق ومعالمه ·

ووجدت نفسي بعد قليل بين جنود السرية المحاصرة الذين غادرتهم بعد ان جرحت منذ اكثر من اربع وعشرين ساعة بقليل · كانوا كعفاريت الجن رغم كل ما حدث لهم · وكانت المنطقة كلها مغطاة بالرمل الصلب المتماسك قطعا قطعا · وكانوا هم على الرمل الصلب كتماثيل من الصخر ·· ومدافعهم في ايديهم متجهة الى العدو ·

وشرحت لقائد السرية خطة الانسحاب · وبدأ ضابط المدفعية يساعد مدافعنا على تسجيل هدفها من مواقع العدو ، وبدأت مدفعيتنا الثقيلة تهدر ·· ثم جاء دور قنابل الدخان · ونجحت عملية الانسحاب رغم الجهد البائس الذي بذله العدو ليعوق نجاحها ·

كان حال كتيبتنا في ذلك اليوم يدعو الى الرثاء · لقد تجمعت كل السرايا ، ولم يعد العدو يحاصر بعضها ·· هذا صحيح · ولكن التعب كان قد نال من جنودها وضباطها بشكل واضح · لم يكن واحد من ضباطنا وجنودنا قد عرف النوم لخمس ليالي متوالية ·

وهكذا احسست ان الامر الذي صدر الينا في تلك الليلة هو اعقل امر اصدرته قيادتنا العامة ...

كان الامر كما يلي : « تترك الكتيبة السادسة مواقعها للكتيبة التاسعة ، وتذهب هي الى الراحة » .

لقد كان ضباطنا وجنودنا فعلا اشد ما يكونون حاجة - بعد كل الظروف التي عاشوها - الى الراحة ... كانوا في حاجة الى ساعات تغمض فيها عيونهم وتسكن فيها جوارحهم وينقطع ازيز الرصاص وانفجار القنابل فوق رؤوسهم .

وكان المكان الذي خصص لراحتنا هو بقايا معسكر بريطاني مهجور بجوار مستعمرة نتساليم التي تحتلها قواتنا . واحسست وانا ادخل بسيارة الجيب الى اطلال المعسكر القديم اني ادخل قصرا منيفا .. او هكذا بدأ لعيني وقتها . اخيرا سوف نقبع وراء جدار مبني . لقد كان مبنى المعسكر بلا سقف وبلا نوافذ ... ولكن ماذا تهم السقوف والنوافذ ... المهم ان هناك جدرانا .

وفرشت امتعتي في احدى الغرف واستلقيت على ظهري ونجوم السماء تطل علي من حيث لا سقف فوقي . ولكن استمتاعي بنجوم السماء لم يدم طويلا .

بعد خمس دقائق فقط دخل احد الجنود غرفتي - التي لا باب لها - ليقدم لي اشارة من الرئاسة تطلب منا ان نبعث باحدى سرايا الكتيبة لكي تساعد في معركة ناشبة في اسدود .

واستيقظت في الصباح على اشارة ثانية تطلب سرية ثانية لكي تعاون الكتيبة التاسعة عند عراق سويدان .

ومع انني اطعت الاوامر وبعثت بالسريتين المطلوبتين الا ان سخطي لم يكن له حدود . لقد كنت اريد ان تستريح الكتيبة وتسنح لها الفرصة لتعيد تنظيم نفسها وتحسب خسائرها وتنظم صفوفها لتكون جاهزة عندما تدعوها حاجة الى معركة . ولكن بدلا من ذلك ... ها هي السرايا تسحب منا واحدة بعد واحدة .

وبلغ سخطي مداه عندما طلبوا منا سرية ثالثة ، ولكن ظروف طلب السرية الثالثة كانت اكثر مما يمكن ان تحتمله اعصاب بشر .

كانت قيادتنا العامة قد بدأت معركة ضد مستعمرة بيرون اسحاق

الواقعة امام غزة · ومع ان القائد العام للقوات ، ومدير العمليات ، وقائد الطيران ، كانوا جميعا بأنفسهم يشرفون على المعركة الجديدة ، فان الهجوم على بيرون اسحاق كان نموذجا متكررا للعمليات التي جرت قبل ذلك في دير سنيد ، وفي نجبا : مشاة بلا دروع ··· امام مواقع محصنة ·

واستطاع مشاتنا ان يدخلوا الى المستعمرة · ويحاربوا فيها من بيت الى بيت ، حتى ان احد مراقبي الهدنة طلب من القائد العام ان يأمر بوقف القتال لان المستعمرة سوف تستسلم ·· ورفض القائد العام واستمرت المعركة ·

ولكن القائد العام كان قد نسي اعتبارين : اولهما انه ترك طريق الامداد وراء بيرون اسحاق مفتوحا فبدأت النجدات تتدفق على المستعمرة اليائسة · والاعتبار الثاني ان الشمس تغرب آخر النهار ، ويهبط الليل ·

وهكذا ساد الظلام ارض المعركة · والنجدات ما زالت تتدفق من الوراء · والقتال ما زال مستمرا · واصبح المحاربون داخل اسوار المستعمرة وكأنهم داخل مصيدة · وبدأوا يتساقطون واحدا بعد واحد داخل اسوار المستعمرة ·

ولكن هذه الازمة داخل اسوار المستعمرة لم تكن السبب الذي من اجله دعيت سرية ثالثة من كتيبتنا الى غزة · كان السبب اشد خطورة واشد مرارة في نفس الوقت · كان القائد العام قد القى في معركته ضد نجبا بقوات الكتيبة الثالثة التي كانت تحرس مدينة غزة نفسها · وكان القائد العام يقدر ان تفرغ المعركة قبل الليل ، وتعود الكتيبة الى مواقع الحراسة حول المدينة قبل ان يهبط الظلام ·

ولكن المعركة لم تسر على هواه · وجاء الليل والكتيبة الثالثة مبعثرة ·· نصفها داخل المستعمرة في المصيدة والنصف الثاني خارجها يتميز غيظا ·· اما غزة نفسها فكانت دون حراسة في الليل ·

وكانت السرية المطلوبة منا سوف تكلف بالحراسة ·· واحتلال المواقع الدفاعية ·· التي تحمي غزة ·· حتي لا يجيء العدو بالليل ويتمشى الى داخل المدينة في نزهة تحت نجوم السماء المتلألئة ·

وسمعت ليلتها اخبار راديو القاهرة ، وكان بينها ان مجلس الامن عاد مرة اخرى واوقف القتال في فلسطين ·· وان وقف القتال سوف يبدأ في الساعة الخامسة من بعد ظهر الغد ·

وتوقعت ان يعود العدو فيكرر الليلة والغد نفس الذي حاول ان يصنعه من قبل ، حين صدرت اوامر وقف القتال في المرة الاولى ·

سوف يحاول العدو ان يحتل مواقع حاكمة في الساعات الاخيرة لكي يحتشد وراءها ويستعد ·· ويعود ليضربنا عندما يستريح ·

وعرفت ان العدو لم يخيب ظني فيه · فقد طلب الينا ان نبعث بسرية من سرايانا لكي تساعد في المعركة التي هجم فيها العدو ليحاول ان يقطع الطريق بين عراق سويدان والمجدل · عند نقطة كراتيا ·

وكنت اتابع هذه الاخبار كلها وانا قابع في اطلال المعسكر البريطاني المهجور ·· الذي ترك بلا نوافذ وبلا ابواب · لم يكن عندي ما اصنعه غير ان اتابع · وقد كنت اركان حرب كتيبة ·· من غير كتيبة · كانت سرايانا كلها معارة لكتائب اخرى · وكنا ·· رياسة الكتيبة ·· وحدنا في المعسكر المهجور ·

ووقفت امام المعسكر المهجور عصر اليوم الذي كان يجب ان يقف فيه القتال ·

وقفت والخواطر تزحم رأسي : هدنة اخرى تصدر بها الاوامر من نيويورك ، ونطيع ·· اهي حرب حقيقية ·· ام ان هي لعبة شطرنج ···

اني لا اشك في الذي سوف يحدث ·· سوف نعود فنشهد صورة للذي شهدناه من قبل ·· سوف نأخذها سلاما ·· ولكن العدو لن يذعن للسلام · سوف يدعم مواقعه · ويحشد قواته ·· ويعطيها فرصة لتستريح · ثم يضربنا حيث يشاء ، ويضرب معنا قرار وقف القتال الصادر من نيويورك ·

وبدأت الساعة تقرب من الخامسة · وبدأت اصيخ السمع في اتجاهات الافق المفتوحة ، وكأني اريد ان اتسمع الى المدافع · واشعر بها عندما تلتزم الصمت حين يصل عقرب الساعة الى تمام الخامسة · ووصل عقرب الساعة الى الخامسة · وبدأ يمشي بعدها ····

لقد بدأت الهدنة ·· بدأ السلام الذي لا يعرف احد كيف ينتهي ، واين ينتهي ، ومتى ينتهي ·

وفجأة لمحت عند الافق طائرتين عائدتين من اتجاه الشمال ، وادركت انهما من طائراتنا · لا بد انهما كانتا في دورية فوق ارض العدو ·· ثم عادتا مع موعد وقف القتال في الساعة الخامسة تماما احتراما لقرار الهدنة ·

ومضيت ارقب الطائرتين تتقدمان فوق مواقعنا على ارتفاع بسيط متجهتين الى قاعدتهما دون شك • واحسست بحنان غريب نحو زملائنا في السلاح ، المحاربين في الجو ، ومضيت وعيناي على الطائرتين ارقبهما وهما تسيران في الهواء كأنهما - في تلك الساعة من العصر - تعبران بحرا من الضياء الباهر •

وفجأة لا ادري من اين ظهرت ثلاث طائرات تحلق على ارتفاع شاهق وتدير نفسها لكي تنحدر متحكمة في الطائرتين السائرتين على ارتفاع قليل •

وادركت فورا معنى الذي حدث • هذه ثلاث من طائرات العدو ، وها هي امام عيني بعد موعد وقف القتال تنقض على اثنتين من طائراتنا احترمتا الهدنة وعادتا الى خطوطنا مع الخامسة بعد الظهر •

وبدأت اصرخ كالمجنون ، وكأني اتصور ان صراخي وتحذيري سوف يصل الى طائرتينا اللتين لا تشعران بالخطر • ويبدو اخيرا ان طيارينا احسوا بالخطر ••• فان السرعة بدأت تزيد ••• وبدأ ما فهمته على انه مناورة للدوران والافلات الى اتجاه البحر •

ولكن المفاجأة كانت كاملة • وبرقت النار في السماء شاحبة في ضياء العصر الباهر • وسمعت دوي الرصاص • وفي اسرع من لمح البصر •• كانت احدى طائراتنا تهوي محترقة الى الارض ، وكانت الثانية قد افلتت الى اتجاه البحر •

واحسست اني افقد صوابي •• واني اهذي •• واني اريد ان انفجر ••

ولم يلبث ضابط مخابرات كتيبتنا ان خرج الى مواقع سقوط الطائرة ثم عاد يؤكد لنا مصرع طيارها • وكنت اعرفه ، فقد كان طيارا شابا حديث العهد بالمعارك •• وكانت تلك اول عملية له في فلسطين •

وكان الذي يؤلمني ان الفرصة لم تتح له لكي يقاتل دفاعا عن حياته •• لقد قتل غيلة وغدرا • وكان عائدا مطمئنا الى القرار الذي صدر في نيويورك ، وطلبت منه قيادته ان يحترمه ، فانقض عليه الذين طلبت منهم قيادتهم ان لا يحترموا شيئا •

لم يكن الذي رأيته من مكاني ، وبصري معلق في السماء ، معركة انما كان جريمة قتل غادرة •

واستلقيت ليلتها في غرفتي في اطلال المعسكر البريطاني المهجور •• غرفتي التي لا سقف لها •• والنجوم تطل علي من ابراجها ، وكان في

راسي خاطر واحد : سوف نلقى جميعا نفس المصير الذي رايت هذا الطيار الشاب الصديق يلاقيه ما دام حال الذين يوجهوننا من القاهرة ومن قيادتنا العامة في الميدان هو هذا الحال ، ولن يتاح لواحد منا ان يحارب في معركة شريفة متكافئة مع عدوه دفاعا عن حياته وشرف بلاده ·

لن تتاح لنا هذه الفرصة ابدا · وليس امامنا الا ان نقتل ·· هكذا ·· غيلة وغدرا ·

··· ومضت علينا ايام الهدنة الجديدة كما مضت قبلها ايام الهدنة الاولى ·

كأننا ما فعلنا شيئا ·

كأنما الدماء التي سالت ·· كأنما الجهود التي بذلت ·· كأنما الارواح التي اعطيت في سخاء ·· كأنما السهر الطويل المستمر ·· كأنما اهوال المعارك في الليل والنهار ·· كأنها جميعا لم تكن ·

عدنا الى الانتظار الذي ليس له حد نعرفه نحن ، وان كان يبدو ان العدو يعرف منه كل حد ، يعرف اين يبدأ واين ينتهي ، ويعرف اين يستفيد بين البداية والنهاية ·· قوة لنفسه ·· قوة علينا ·

ولقد كان في الخنادق هذه المرة ـ على اي حال ـ شعور جديد ·· شعور بالمرارة · لقد حاربنا فترة ما بين الهدنتين بكل طاقة في اجسادنا العارية من الدروع · ومع ذلك لم نكد نمضي في الحرب ·· ويعلو ضجيج المعركة على صوت الهمسات التي كانت تتردد في خنادقنا عن الحرب السياسية ·· حتى جاءت السياسة مرة ثانية واوقفت القتال طاعة لمجلس الامن في نيويورك ·

اذن ، ماذا فعلنا ·

فيم كانت كل هذه التضحيات ·· والى اين ينتهي بنا المطاف ·

هل سنحارب ·· هل سنهادن ·· ام هل علينا جميعا نفس مصير الطيار الذي لقي مصرعه امام عيني بعد نصف ساعة من الهدنة ·· فنقتل جميعا غيلة وغدرا دون ما فرصة ندافع فيها عن الوطن والشرف والحياة ·

لم يكن هناك من يستطيع ان يجيب على هذا كله ·· وكانت المرارة المكتومة ، والغيظ المكبوت ، يرزحان على خنادقنا ·· اجابة خالصة لكل من يريد جوابا على اي سؤال ·

وبدأت اشعر بالملل في مكاني من انقاض المعسكر المهجور الذي

لا سقف له ولا نوافذ ، والذي كنا ما نزال ننتظر فيه ..
وما من شك ان هذا الشعور بالملل لم يحاصرني وحدي .. وانما معي ايضا كل زملائنا في السلاح ..
ولقد حاولنا جهد المستطاع ان نسري عن انفسنا ، ونفلسف الظروف التي نعيش في اسارها . كنا ننزل احيانا الى المدن القريبة منا .. الى المجدل .. والى غزة . وكنا نحاول الاتصال باصدقائنا ، ونترقب ان نلتقي بهم . وكنا في مركز رياسة كتيبتنا نقضي الليل احيانا تحت السماء الصافية تلمع نجومها ، ونستدعي جنديا من كتيبتنا كان اصله بائع مثلجات في القاهرة ، ونتركه يسترسل في اغانيه الريفية التي كانت تنفذ الى قلوبنا حاملة معها حنينا غريبا الى الوطن ولهفة عليه .
وقدر لي ان اعود الى الوطن في اجازة قصيرة بعد ايام . وفجعتني القاهرة حين القيت عليها اول نظرة ، وانا عائد من ميدان القتال . لم تكن عاصمة بلد يحارب في معركة حياة او موت . كان كل شيء فيها كما تعودت ان اراه .. سلاما هادئا .. يكاد يغفي من النعاس في بعض الاحيان .
واحسست في انقباض غريب في العاصمة المائجة بالحياة العادية .. بينما احدى سيارات التاكسي تقطع بي الطريق من ميدان المحطة الى منزلي .
وحين اقتربت من بيتي احسست ببعض العزاء ، فقد شعرت ان هناك بين افراد الشعب العادي من يحس بالذي نصنعه في فلسطين .
رفض سائق التاكسي ان يأخذ الاجر الذي حسبه العداد ، وحاولت بشتى فنون المنطق ان اقنعه ، ولكن الرجل تمسك بمنطقه الساذج الطيب .. لقد كنت في رأيه - كما لاحظ ورأى - عائدا من ميدان القتال ، فهل يجوز له ان يتقاضى مني اجر الركوب . ان السيارة لم تكن ملكه ... ولكن ماذا يهم .. ذلك في منطقه مسألة ثانوية .
واقتربت ادخل من باب البيت بعد المناقشة الطويلة مع سائق التاكسي ، واذا العمال في بعض الورش والمحال القريبة من بيتنا يلمحونني وانا في الطريق اليه .. وكنت دائما على علاقة طيبة بهم .. ويبذو انهم افتقدوا غيبتي الطويلة في ميدان القتال ، ومن يدري فقد يكون بينهم من ظن اني لن اعود ابدا واشفق على المصير الذي قدر لي ان القاه .

وهكذا هرع الي جمع منهم .. بعضهم يسلم .. وبعضهم يصفق .. او يقول كلمة تشجيع بسيطة في معناها ولكنها صادرة من القلب .

وكانت ايام الاجازة الاربعة مشحونة . اتصلت باصدقائي الذين كانوا في العاصمة ، وبينهم عبد الحكيم عامر الذي كان قد عاد ليدخل المستشفى كي تجرى له عملية جراحية في احدى يديه بعد اصابتها بشظية ، وتلوثت الاصابة في ميدان القتال . والتقيت بحسن ابراهيم . ومررت على رئاسة الجيش اتنسم الاخبار ، وسمعت روايات عن معدات جديدة في طريقها الينا ..

ولقد صدقت اماني ما سمعت . ولكن عقلي .. والتجربة الحقيقية في الميدان .. كذبا .. واصرا على التكذيب .

وفي اول يوم العيد .. كان لا بد ان تنتهي اجازتي . وذهبت في الصباح مع ابنتي هدى الى حديقة الحيوانات ، ثم عدنا الى البيت لكي احزم امتعتي واقول لاسرتي مرة ثانية : وداعا .

ثم استقل القطار في اتجاه جبهة القتال .. واعود الى الميدان الذي كنت قد تركته منذ اربعة ايام .

— ٥ —

ولم يكن هناك شيء قد تغير فيه . كان تماما كما تركته . سلم وسط الحرب .. وحرب وسط السلم . وبين السلام الضائع والحرب الضائعة .. كانت خنادقنا تعيش في حيرة خطيرة .. اخطر عليها من العدو الذي تحاربه .

وعدت الى اطلال المعسكر المهجور ، والى النجوم المتلألئة انام تحتها ، كل ليلة في غرفتي التي لا سقف لها ، واقضي الساعات اتأملها في ارتفاعها الشاهق فوقي ، واسرح باحلامي بين افلاكها .

ومرت الايام .. وفي صباح الخميس ٩ سبتمبر دعينا الى مؤتمر في رئاسة القوات ، وهناك علمنا ان كتيبتنا سوف تتسلم خطا جديدا .. هو الخط بين عراق المنشية وبيت جبرين . وسبقت كتيبتي الى الخط الجديد . وبدأت سرايانا تصل الى مواقعها واحدة بعد اخرى . وكان القدر يدخر لنا مفاجآت .. بعضها وراء بعض .

وبدأت استكشف المنطقة حولي لكي اعرف اين انا .. وبالتالي لكي استعد اذا ما جاء العدو .

كانت عراق المنشية قرية صغيرة تضيق بمن فيها من سكان ومن لاجئين ، وكان تعداد الجميع يتراوح بين ١٨٠٠ شخص و ٢٠٠٠ شخص وكانت على الطريق الرئيسي الذي يفصل الشمال عن النقب الجنوبي ويمتد من المجدل حتى الخليل ٠

وكانت مستعمرات العدو تحيط بها من كل جانب ٠ على بعد كيلومترين اثنين الى الامام منها كانت تقع مستعمرة جات ٠ وفي جنوبها مستعمرات رحامة وجمامة ٠ وفي شمالها مجموعات اخرى من المستعمرات في ارض يحتلها العدو ويسيطر عليها كلها ٠

وكانت حولنا مجموعة من القرى العربية تقع داخل النطاق الذي فرضت علينا حمايته ، وكان هذا النطاق يمتد الى ثلاثين كيلومترا ٠

وعندما وزعت كتيبتنا على النطاق الذي يجب ان تحميه ، وجدت ان المأساة القديمة قد عادت فكررت نفسها من جديد. لقد فرض على قوات كتيبتنا ان تبعثر على مناطق منعزلة. وعليها في هذه البعثرة ان تدافع عن الطريق ، وتدافع عن القرى الواقعة في نطاقها.. وتدافع بالطبع عن نفسها.

وبدأ النشاط يدب في قطاعنا.

وذات صباح تلقيت اشارة من الحاكم الاداري المصري لبيت جبرين يقول فيها: ان العدو احتل خربة المجحز وان قواته بدأت تحفر خنادقه وتحصن مواقعها الجديدة.

وقال لي الحاكم الاداري انه مع عدد من المتطوعين يناوشون العدو ويعرقلون جهوده، ولكنهم في حاجة شديدة الى النجدة. وبعثت التفاصيل الى رياسة اللواء، وارسلت في الوقت نفسه احد ضباطنا لكي يرى الامر بنفسه ويعود لنا بصورة واضحة للحالة هناك.

وعند الظهر كانت رئاسة اللواء الرابع تأمر كتيبتنا بطرد العدو من خربة المجحز وكان الضابط الذي ارسلته طلبا للمعلومات قد حقق مهمته وعاد.

وخرجت من عراق المنشية في طريقي الى المهمة التي كلفنا بها. كانت معي فصيلتان من المشاة، اي ما يقرب من سبعين جنديا. وكانت معي سيارتان مدرعتان، وست حمالات، وواحدة من جماعات الفيكرز ٠ ومرة اخرى وجدتني في سباق مع الزمن.

ولكننا استطعنا على اي حال ان نبدأ الهجوم على المجحز في

الساعة الرابعة بعد الظهر. وكانت الخطة التي وضعتها ان تتقدم الحمالات من يمين المجحز، وان يتقدم المشاة من الشمال.

وبدأت اضع يدي على قلبي، فان الحمالات بعثت الي برسالة تقول فيها ان خورا واسعا - مجرى مائيا جافا - يعترض طريقها ولا تستطيع عبوره الى الهدف.

ولكن فصيلة الحمالات حققت املي فيها وزيادة، فقد تلقيت منها اشارة في الخامسة والنصف بانها وجدت طريقا، وانها ماضية الى الهدف.

وبعد ربع ساعة ابلغني قائد فصيلة الحمالات انه وسط الهدف... انه دخل المجحز وانه مشتبك مع العدو فيها. وتقدمت المشاة في نفس الوقت، ومعها جماعات من المتطوعين العرب. فلم تجيء الساعة السادسة والربع حتى كانت العملية قد انتهت، وكان قتلى العدو يملأون ارض المعركة.

والغريب.. الذي ما زلت اعجب له حتى الان.. ان الحظ حالفنا فلم تكن بين قواتنا خسائر على الاطلاق.

وابلغنا التفاصيل الى رئاسة اللواء الرابع، فصدرت الينا الاوامر بان نسلم المجحز الى قوات المتطوعين العرب ونعود نحن الى مواقعنا في عراق المنشية.

وكانت قواتنا العائدة في الليل تبدو وكأن لها اجنحة تطير بها من شدة الفرح. كانت روحنا المعنوية عالية... وكانت حماسة جنودنا بالغة... وكان الطريق جميلا... ولعلني لم اره ابدا رغم الظلام بمثل هذه الدرجة من الجمال.

ولكن سعادتي لم يقدر لها ان تستمتع بالحياة اكثر من ليلتين فقط، فقد كانت اول اشارة تلقيتها في صباح اليوم التالي ان العدو عاد فهجم على المجحز وان المتطوعين الذين كان عليهم حمايتها انسحبوا في الفجر تحت نيران العدو.

ووجدت بعد هذه الاشارة امرا انذاريا من رئاسة اللواء بان نستعد للاستيلاء على المجحز مرة اخرى.

وبدأت اضرب كفا بكف. لقد خضنا معركة منتصرة لاستردادها من العدو ومع ذلك فرطنا فيها بسهولة، وعادوا الان يقولون لنا اذهبوا وخذوها مرة جديدة.

وفي هذه الاثناء كانت هناك اشارات طائرة... ذاهبة قادمة.. تلقى

المسؤولية مرة على رئاسة اللواء الرابع واوامرها... ومرة على المتطوعين العرب.

وفي الساعة الواحدة ظهرا الغى الامر الانذاري.

وعلى اي حال فاني لم اكن قد توقفت عن مد المتطوعين العرب بالسلاح والذخيرة... ولا عن تحريضهم لكي يذهبوا ويحاولوا باي طريق ان يمنعوا العدو من تحصين مواقعه.

وكنت اقول لنفسي: لن يذهب هذا عبثا على اي حال... اذا لم اذهب انا الى المجحز فسوف يذهب غيري من زملائنا... ولسوف تتردد قيادتنا بعض الوقت، ثم تحزم امرها اخيرا، وتصدر الى واحد ما امرا باسترداد المجحز... واذا كان في وسعي ان اساعد هذا الواحد في عمله... فانه لا ينبغي علينا ان نتردد.

ولم البث ان علمت بعد ذلك بقليل ان الكتيبة الاولى في الفالوجا قد كلفت باسترداد المجحز وان الاوامر قد صدرت الى زكريا محي الدين بأن يقود الهجوم.

واتصلت بزكريا محي الدين اطلب منه ان اخرج معه الى العملية، وكانت فكرتي اني اعرف طبيعة الارض واني عملت فيها الى ساعات قليلة مضت. وعندما وصلنا الى منتصف الطريق الى المجحز وجدنا ان خير ما نفعله هو ان نؤجل الهجوم الى الصباح ونبدأه مع خيوط الفجر الاولى.

ونمنا في الخلاء... زكريا محي الدين وانا. فوقنا بطانية وتحتنا بطانية اخرى... وبيننا احاديث لا تنقطع عن العدو وعن قيادتنا... وعن العاصمة ايضا.

وبدأت المعركة في الصباح. واقترحت على زكريا ان يستعين بفصيلة الحمالات من الكتيبة السادسة. وهي التي قادها الجاويش عبد الفتاح ودخل بها الى وسط العدو منذ يومين. ووافق زكريا، واتصلت بكتيبتنا اطلب منهم ان يبعثوا الي بعبد الفتاح.

وبعد ساعة واحدة كان الجاويش عبد الفتاح داخل المجحز يبعث الي باشارة يقول فيها انه دخل القرية ويطلب المشاة للتعزيز.

ولم اطق صبرا. ركبت احدى الحمالات واسرعت الى المجحز بنفسي. وكانت القرية حين دخلتها جحيما من النار. فان العدو المحنق المنسحب كان قد صب عليها كل ما استطاعت مدافعه ان تسعه من

قنابل.

واعترف اني شعرت بالخوف مرة واحدة في حياتي... وكانت في تلك الساعة في المجحز.

ولست ادري ماذا حدث لي حتى شردت عن المعركة الى اسرتي في القاهرة، واذا انا لمدة ثلاث دقائق افقد روح المحارب واندفاعه. ومن حسن حظي ان هذا الشعور فارقني بعد ثلاث دقائق وعدت الى شعور اللامبالاة الذي هو اكبر عدة المحارب.

ان الحرص على الحياة... وتلك تجربتي في ميدان القتال، اكثر ما يسلب المحارب روح القتال، وان الاندفاع الى النصر... كامن في اللامبالاة بالنفس... ونسيان كل شيء عنها ومراعاة المعركة وحدها.

ولم يكن هناك ما افعله بعدها... وانا مشترك في المعركة بطريقة غير رسمية، الا ان اعود، ولقيت زكريا في طريق عودتي، وتمنيت له حظا سعيدا، وكان هو في طريقه الى المجحز.

ولم اكد امضي بعيدا على اي حال حتى جاء من يبلغني ان العدو كر مرة فدخل المجحز. وقررت ان اتمهل في العودة وفي ظني ان اطمئن على زكريا... فقد تركته لاخر مرة متقدما الى المجحز.. وها هو العدو يعود اليها.

وعلمت بعد قليل ان زكريا سمع بسقوط المجحز مرة اخرى في يد العدو قبل ان يصل اليها، وانه عاد في انتظار اوامر جديدة. ولكن الاوامر الجديدة تأخرت ثلاثة ايام كانت اغلى من الحياة في يد العدو الذي جعل من القرية حصنا منيعا.

وحين صدرت الاوامر بهجوم جديد عليها.. كان قائد اللواء نفسه هو الذي سيقود الهجوم...

وحشد قائد اللواء مجموعات هائلة من القوات، وقلت مرة لقائد مدرعاته: هل تريدون ان اجيء معكم.. لقد ذهبت كتيبتنا الى المجحز قبل ذلك، واستولت عليها مرتين.

ولم يجب الرجل... بل اكتفى بان رمقني بنظرة صاعقة مشحونة بالكبرياء، ومضى في طريقه.. ولكن ليس الى المجحز، فان الهجوم الجديد لم يقدر له النجاح بسبب الايام الثلاثة الضائعة على الاقل وكنت اتابع تطوراته من مواقعنا في عراق المنشية وانا اقرض اسناني من الغيظ.

وجاء العيد الكبير...

وصباح يوم العيد تلقينا اشارة من رئاسة القوات تقول ان العدو سوف ينتهز فرصة العيد ويقوم بهجوم على مواقعنا.

ويظهر ان قيادتنا العامة لم تفعل اكثر من انها بعثت الينا بهذه الرسالة، ونسيت عنا كل شيء، وانهمكت في استقبال الاميرة السابقة فايزة، وكان مقررا ان تزور الميدان.

لقد عرفنا ان العدو سوف ينتهز فرصة العيد ويهجم، ولكن ماذا اعددنا له... ما هي الخطة التي رسمتها قيادتنا لملاقاته.

كانت النتيجة النهائية لرسالتها اننا ارسلنا الى المواقع نقول لكل جندي: خلّي بالك يا عسكري.

ولكن ما معنى هذا، وما قيمته... وماذا كان في استطاعتنا ان نفعل غير ذلك.

ان قيادتنا بعثت برسالتها التي تقول ان العدو سيهجم على اللواءات. وابلغت اللواءات الامر الى قواد الكتائب. وانتقل الخبر منهم الى اركانات حرب كتائبهم، ثم الى قواد السرايا والفصائل، ووصل الجنود في الخنادق الاولى على صورة: خلّي بالك يا عسكري.

واعتبرت قيادتنا انها ادت واجبها واكثر... ونسيت انه كان يتعين عليها ان تعد خططا مضادة لكل احتمال وتبعث بها الينا.

بدأت الحوادث تجري مسرعة.

كان اليوم هو ثالث ايام العيد... وبدأ العدو نشاطه في الساعة الحادية عشرة مساء.

بعثت احدى سرايانا الى الشرق تقول ان العدو يتحرك بين عراق المنشية وبيت جبرين. وبعث قائد السرية يقول لي انه بعث احدى دورياته للاستكشاف فعادت اليه تقول ان العدو نشط على الطريق الرئيسي، وانه احتل موقعا عليه وبدأ يحفر حوله ويقيم الاسلاك. وان ذلك معناه قطع الطريق بين عراق المنشية وبيت جبرين.

وقلت لقائد السرية ان يشتبك بالعدو ويمنعه من تحصين موقعه. واتصلت برئاسة اللواء الرابع اروي لهم ما حدث، وكان الرد امرا من اللواء بان تقوم كتيبتنا برد العدو عن هذه المواقع.

وفي الساعة الثالثة صباحا كان تجهيز القوة الخارجة لرد العدو يسير على قدم وساق، وكان مفروضا ان اخرج انا بهذه القوة.

وكان مقررا ان نخرج مع ضوء الفجر الاول...

وكنت واقفا بنفسي امام مركز رياسة كتيبتنا اتعجل ضوء الفجر لكي نتحرك الى هدفنا.

كان كل شيء حولنا هادئا ساكنا... حتى المستعمرة التي تواجهنا - جات - بدت وكأنها مستغرقة في نوم عميق.

ودخلت مركز الرياسة وطلبت على التلفون برج المراقبة العالي المشرف من مواقعنا فوق الجبل على مستعمرة جات، اسألهم عن الاحوال حول المستعمرة... وكان الرد يؤيد ما احسست به بنفسي.. وهو ان كل شيء هادىء.

واقتربت عقارب الساعة من الخامسة. وكان لا بد ان نتحرك... ولكن فجأة انتهى الهدوء نهاية خاطفة مروعة...

بدأت النار تنهال فوق عراق المنشية بتركيز لم اشهد له مثيلا من قبل. كانت القرية كلها تحت الانفجارات المتواصلة مرة واحدة. اذن فقد بدأت المعركة هنا... واذن فيجب ان ابقى لاواجه هذا الهجوم.

ودخلت مركز الرياسة احاول مواجهة المعركة. ودق التلفون في الخامسة والنصف، وسمعت قائد السرية المواجهة لمستعمرة جات يقول: ان العدو يتقدم... بالدبابات...

وصحت فيه اقول: بماذا. بالدبابات. هل انت متأكد.

ومع ان الضابط مضى يؤكدها بشدة... فقد تصورت - وظلمته في تصوري - ان شدة النار هي التي جعلته يتصور وجود الدبابات من غير ان تكون هناك دبابات.

لم يكن العدو قد استعمل الدبابات في فلسطين ابدا حتى اليوم... لدرجة ان القائد العام لقواتنا في الميدان طلب مني ونحن في طريقنا الى عراق المنشية من مواقعنا القديمة في اسدود، ان أترك له هناك مدافعنا المضادة للدبابات من عيار ٦ رطل... ولما حاولت ان أناقشه في ذلك قال: ان العدو لا يستعمل الدبابات، ثم ان الارض التي ستذهب اليها لا تصلح بطبيعتها لاستعمال الدبابات.

ولقد اطعته... ولكني امرت احد جاويشية كتيبتنا ان يأخذ معه ومن وراء ظهر القائد العام مدفعين من المدافع المضادة للدبابات، وكنت اقول في نفسي: ولو لمجرد الاحتمال البعيد.

وعاد قائد السرية المواجهة للمستعمرة يقول لي: ان الدبابات تتقدم

على مواقعه، وانها عبرت الاسلاك الشائكة.

اذن فان الاحتمال الذي قطع قائدنا العام بعدم حدوثه... وحاولت انا ان احتاط له، قد وقع..

اذن فقد كان يجب ان تبقى معنا مدافعنا المضادة للدبابات ولا تسلب منا حتى يهجم العدو علينا بدباباته فنحار كيف نصده.

اذن فان اعتمادنا اليوم كله على مدفعين اثنين اخذناهما من وراء ظهر القائد العام.

ونقلت المدافع .. اقصد المدفعين الاثنين... الى مواجهة الدبابات القادمة.

كانت الاخبار تترى علي وانا في مركز الرئاسة كأنها لمعات البرق المشحونة بالكهرباء. كنت اعرف الموقف اكثر من غيري، فان الصورة كلها امامي. صورة قواتنا المبعثرة، ومدافع الدبابات التي لا نملك منها الا اثنين، والالغام التي كنا نصرخ باعلى صوتنا طلبا لها، ولكنها كانت تصل بكميات لا تكفي اطلاقا لاحاطة مواقعنا بنطاق محكم منها...

واخطرت بان دبابات العدو تقدمت... دبابات العدو تقتحم الاسلاك.. دبابات العدو تقتحم مواقع الفصيلة الاولى..دبابات العدو تعبر مواقعنا كلها الى البلدة نفسها... دبابات العدو داخل البلدة... ان الموقف قد تغير اذن، ويجب ان اواجهه بطريقة جديدة. لقد كانت قواتنا موزعة على نطاق معين لصد العدو الهاجم عليها من الخارج ولكن الكارثة التي حلت هي ان العدو اخترق هذا النطاق واصبح داخل عراق المنشية.. اي داخل النطاق الذي ندافع من حوله.

ان قلب النطاق ليست فيه مقاومة، فان المقاومة حوله تصد عنه. اذن فان العدو سوف يمرح في البلدة ما شاءت له خطته، لكي يمزق أوصالنا ويقطع اعصاب مواصلاتنا .

وسألت في لهفة: اين المدفعان المضادان للدبابات.

وكانت المفاجأة المروعة التي صنعها لنا القدر.. لقد سقطت قنابل هاون فوق المدفعين مباشرة... وعطلا واصبحا غير قادرين على العمل..

وقفزت خارجا من مركز الرياسة. يجب ان أواجه الامر بنفسي على الطبيعة. لم تعد تجدي الخطط ولا التنظيمات، لقد خرج الامر عن هذه الحدود، ولم يعد ينقذ الموقف الا محاولة يائسة لسد الثغرة التي فتحها العدو في نطاقات دفاعنا.

وحين غادرت مركز رياستنا ، كان العدو قد احتل مدرسة عراق المنشية القريبة من مركز الرياسة نفسه ·

كانت البلدة في هول مخيف . القنابل تنفجر في كل ناحية · ضجيج المعركة يملأ الافاق · طلقات الرصاص تئز مجنونة لا تلوي على شيء ··

وادرت رأسي عن مشهد مؤلم ·· ان احد جنودنا من سلاح الاشارة ما زال يواصل عمله ويمد اسلاك التلفون التي قطعها العدو ·· ويصيبه الرصاص ويقع ويتقدم واحد اخر من جنود الاشارة ·

وكان في تصوري ان اتجه الى مركز فصيلة الحمالات والسرية السودانية المعسكرة الى الخلف ، وان اجيء بها الى المعركة لسد الثغرة المفتوحة امام العدو ·

واحسست ان العدو بدأ يغير مواقع ضربه ، فان القنابل بدأت تمر من فوقي متجهة الى حيث كنت اقصد ·

كنت بمدفع التومي في يدي احاول ان اسبق القنابل التي كانت تعبر من فوقي لكي تلاقي المواقع التي اتجه اليها ·

وفجأة احسست بحافز خفي ·· صوت قنبلة مختلف عن باقي الاصوات · كانت القنابل المندفعة فوق رأسي الى اهدافها تصنع في اندفاعها صوتا خاصا بين الازيز والفحيح السريع الخاطف · اما هذا الصوت الذي اسمعه فوقي فهو اشبه بخفق اجنحة الطير عندما يصيبه رصاص الصائد فيرف ويسقط على الارض · اني اعرف هذا الضوت · انه صوت سقوط القنبلة عند وصولها الى نهاية مرماها ··

والقيت بنفسي بسرعة على الارض في حمى جدار منخفض متهدم ·· وبعد ثانية واحدة او ثانيتين سمعت الانفجار ، ورفعت رأسي فوجدت غبار الانفجار ما زال كدوامة الهواء على الناحية الاخرى من الجدار · اذن فقد نجوت بضربة حظ غريبة ·

ولم يكن هناك مجال للتأمل او للتفكير ، فقد اندفعت الى منطقة فصيلة الحمالات ومنطقة الشؤون الادارية ، وقلت لاول ضابط وجدته هناك : خذ كل الجنود واطلع الى منطقة المدرسة ·

وعلمت ان السرية السودانية خرجت الى المعركة قبل وصولي بقليل

وبدأ كل قادر على حمل السلاح يخرج ·· خرج الطباخون ·· وحتى سائقو السيارات ·· واقول سائقو السيارات لاني ما زلت اذكر احدهم ·

كان اسمه عزت .. وكان قلبه كالحديد . ولم يكن يتردد امام اي مهمة . وكان ينجو دائما بما يشبه المعجزات .

ولقد لقيته اخيرا منذ شهور في مستشفى الجيش .. وكان مريضا في المستشفى ، وعرفته ، وبدأت احدثه واتعرف حالته ، وقال لي وعيونه فيها دموع ، انه مصاب بسل في العظام . وقلت للطبيب الذي يعالجه : اما من وسيلة .

قال : عندنا لا ... ولكنهم قد يستطيعون عمل شيء له في اميركا .

وقلت : اذن يسافر الى اميركا لكي يعالج هناك ... انه خير عندي من مائة من هؤلاء الباشوات الذين كانت سبل السفر مفتوحة امامهم .

واني لاسف ان اجل عزت لم يسعفه .. فانه مات بمرضه قبل ان تتم اجراءات سفره الى اميركا ، حتى لعلاج امراضه .

وعلى اي حال ، فلأعد للمعركة المشبوبة في عراق المنشية . للعدو الذي اقتحم نطاق دفاعنا . للدبابات التي لم يقف في طريقها شيء ... حطمت الاسلاك الشائكة ، واجتاحت المواقع ، واصبحت في قلب البلدة . للقنابل الطائرة فوق رؤوسنا . الواقعة في مثل صوت رفيف الحمام المضروب فوق رؤوسنا . لجنودنا الخارجين في اندفاع اليائس الذي يغامر بآخر قطرة دم . لجنود سلاح الاشارة الذين يسقطون وهم يحاولون وصل ما انقطع من الاسلاك . للطباخين .. للسائقين الذين خرجوا بما استطاعت ان تصل اليه ايديهم من سلاح وانطلقوا لملاقاة دبابات العدو التي ظهرت لاول مرة في المعركة ، وبدأ كأنها سيطرت على الموقف سيطرة كاملة .

كانت المعركة تبدو للوهلة الاولى محاولة يائسة . ولكني عندما التفت الان الى الوراء .. الى سبع سنوات مضت على وجه التقريب على هذه المعركة ، وحين تستقر ذاكرتي على تفاصيلها العجيبة لا استطيع ان امنع نفسي من ان اقول : لقد كان ذلك يوما من اروع ايام حياتنا .

وحين امضي اكثر واكثر ، استعرض الذي حدث ، منذ ظهرت دبابات العدو لاول مرة تهدر في الطريق الى مواقعنا ، ومنذ اكتسحت هذه الدبابات مواقعنا واخترقت نطاقات الدفاعات المعدة حولها ، ومنذ اقتحمت هذه الدبابات طريقا لنفسها حتى وصلت الى قلب عراق المنشية ، ومنذ خرجت من مبنى الرياسة حيث لم يعد يجدي تنظيم ، لكي ادفع كل رجل قادر على حمل السلاح الى ان يحاول بجسده ان

يوقف تقدم الدبابات .... حين استعرض هذا الذي حدث بكل دقائقه ، ثم اتذكر كيف تطور هذا الموقف في ساعة واحدة ، اعود فأقول : كان الله قائدنا في هذه المعركة ٠

كان كل شيء يتطور بسرعة غير معقولة ٠ كانت فصيلة الحمالات قد تقدمت الى وسط حقل مزروع بالتين الشوكي ، وكانت مدافع البيات الصغيرة ، التي تستطيع مقاومة الدبابات من مسافة قريبة ، جاهزة في ايديهم وكانوا في انتظار من يصدر لهم امرا ٠

وكانت الاوامر التي بعثت بها اليهم مع احد الضباط ان يتقدموا ليقفلوا الثغرة التي فتحها العدو في خطوطنا وتسرب منها الى داخل نطاق دفاعنا ٠

وكان الهجوم متجها اليهم ، وكانت كل الاصول والقواعد تفرض عليهم ان يعودوا الى الوراء ، ومع ذلك فاني حين طلبت الى الباشجاويش ان يتقدم ويصمد لم اجد الا حماسة منطلقة لا تلوي على شيء ٠

وتسلل واحد منهم وسط التين الشوكي وفي يده مدفع البيات ، وعلى اعصابه تصميم في متانة الصلب ، وظل ينتظر دبابة العدو حتى اصبحت على بعد عشرة امتار منه ، ثم اطلق عليها مدفعه واذا الطلقة تصدمها مباشرة وتمزقها في لمح البصر ٠

وفي نفس الوقت كان ضابط الفصيلة التي اكتسحها العدو ومر فوق مواقعها ، يمسك مدفع بيات آخر يصوبه ويطلقه من بعد امتار قليلة ، فاذا دبابة ثانية تنفجر وتتمزق ٠

ومضى الله .. القائد الذي يدير معركتنا يواصل عمله المقدس ، فاذا احدى الدبابات ، دبابة ثالثة ، تنفجر ، واذا بها قد مست لغما من الالغام التي كنا زرعناها على الارض ، وما كان اقلها حول مواقعنا ٠

وهكذا وبسرعة لم يقدرها احد تعطلت ثلاث من دبابات العدو الست المتقدمة ، واحس باقي القطيع من الدبابات ان الامر يتطور على غير ما كان متوقعا ، فاذا هي تدير نفسها وتعود مضطربة الى حيث اتت ٠

ولم اكن استطيع من مكاني ان اتابع الذي يجري كله في نفس الوقت ٠ كانت هناك دقائق من الفوضى والغموض هي دائما من مستلزمات المعارك البائسة ٠ ولكني بدأت احس ان الموقف في كل ناحية قد تغير ٠ بدأت مدافع العدو تدق مواقعنا ، وكانت لذلك دلالة

هامة .. معناها ان العدو سحب جنوده من حيث كانوا استطاعوا التقدم الى خطوطنا والا لما كان استعمل المدفعية لكي يصيبنا ويصيب جنوده معنا.

ثم مر من امامي وانا واقف والقنابل تنشر مظلة مروعة فوق عراق المنشية جندي يحمل بندقية جديدة . ولمحت البندقية وناديته اسأله من اين جاء بها . وقال بسذاجة مرحة تلعلع الفرحة في نبرتها : من اليهود يا افندي .

ثم بدأت التفاصيل تتجمع في يدي ، لقد انتصرنا على العدو . على الاقل صمدنا امام هجوم بدأ ساحقا للوهلة الاولى لدرجة ان مواقعنا ديست بدبابات العدو ، ثم استطاع جنودنا ان يستردوا الارض التي فقدناها ويردوا دبابات العدو على اعقابها بعد ضياع نصف عددها تماما وتعطله .

وكان خير دليل على غيظ العدو وجنونه مما حدث .. هذا الضرب المركز بالمدفعية على عراق المنشية ... كان ضربا حاقدا مفلوت الاعصاب .

وعدت الى مركز الرياسة . كنت قد غادرته منذ ساعة والهزيمة تكاد تهوي فوق رؤوسنا . وهاأنذا اعود اليه بعد ساعة عشنا فيها نصرا اشبه بمعجزات السماء .

ولقد كنت ادرك ان الامر لن يبقى طويلا على هذا الوضع . كان لا بد للعدو ان يعاود الكرة . لسوف يدركنا بمدافعه كما يشاء له جنونه ، وبعدها يعود الى الهجوم علينا حين يدرك ان قنابله حطمت مراكزنا وارواحنا ايضا .

ولم يكن عندي وقت اضيعه . وابلغت ما حدث بالتفصيل الى قيادة اللواء ، وطلبت باسرع ما يمكن اي عدد من المدافع المضادة للدبابات

ولقد كنت ادرك اني اطلب مخاطرة ، فان الطريق المؤدي الينا يضربه العدو ويسيطر عليه عند كراتيا ، ومعنى ذلك ان القوة التي ستأتي بالمدافع سوف تعرض نفسها لخطر كبير .

ومع ذلك فان ضابطا شابا باسلا قام بثلاث سيارات واربعة مدافع وملأ سيارتين منها بذخيرة الهاون .. واستطاع ان يصل الينا تحت النار.

وطلبت له نيشانا حتى نشعره بتقديرنا لعمله .. وظللت بعد

الحصار اجري وراء النيشان حتى حصل عليه صاحبه اخيرا ·

واعدت تنظيم صفوفنا على الوضع الجديد · وضعت ثلاثة مدافع مضادة للدبابات عند المنطقة التي هجم منها العدو ، وكنت اتوقع ان يعود منها اذا كرر الهجوم ، فقد تصورت ان العدو سيعتقد اننا سنحتاط له في كل مكان الا المكان الذي هاجم منه فعلا ولم ينجح ·

وفي الساعة العاشرة صباحا ·· بدأ العدو هجومه الثاني · وتقدمت ست دبابات ·· تقدمت في اطمئنان وهدوء واثقة اننا لا نملك مدافع مضادة للدبابات والا لكنا استعملناها في الهجوم الاول ·

وظلت مدافعنا المضادة للدبابات لازمة الصمت ، بينما مدافع الهاون وحدها هي التي تطلق النار من خطوطنا ·

ثم جاء الوقت الذي كان يجب ان تثبت مدافعنا المضادة للدبابات وجودها ، فقد اقتربت الدبابات من الاسلاك حول مواقعنا ·

وضربت المدافع الثلاثة في نفس واحد ·· واصيبت دبابتان من دبابات العدو ، واستدارت بقية الدبابات عائدة وقد اذهلتها المفاجأة ·

وحاولت دبابات العدو مرة اخرى عند العصر ان تتقدم ، ولكن النار القوية التي واجهتها جعلتها تقنع بالعودة دون اشتباك ·

وهكذا حين جاءت الساعة الخامسة مساء كانت الروح المعنوية في كتيبتنا اعلى واقوى مما كانت في اي يوم من الايام ·

وخرجت امر على جنودنا · كانت الثقة بالنفس تطل من عيونهم ، وكان التصميم الاكيد يطبع كل حركتهم ·

وكنت سعيدا وفخورا ، والشيء الوحيد الذي كان يضايقني ان كثيرا من زملائنا في السلاح ·· من الجنود والضباط قد سقطوا على ارض المعركة ·· وكانت الارض التي سقط عليها بعضهم تروي قصصا عجيبة عن الشجاعة والفداء ·

لقد عثرت احدى دورياتنا التي خرجت في الليل على جثث بعض السواقين والطباخين الذين انطلقوا للمعركة اليائسة ·· عثرت عليها بعد الاسلاك الشائكة التي تحمي مواقعنا ، وكان معنى ذلك ان هؤلاء الجنود الاشداء لم يكتفوا بان يردوا العدو ·· بل خرجوا لمطاردته على الارض الحرام بين خطوطنا وخطوطه ·

وجلست تلك الليلة في مركز رياسة كتيبتنا احاول ان اتصور الموقف كله ·

لقد كان الذي لا يقبل الشك في تصوري ، ان هجوم العدو علينا في عراق المنشية جزء من خطة عامة ، ولقد فشل العدو امام مواقعنا ، فماذا جرى لخطته العامة • وهل سيحاول تنفيذها في مكان آخر •

ولو كانت لي القدرة على الرؤية البعيدة يومها لعلمت ان ما كنت اتصوره لم يبتعد كثيرا عن الحقيقة • كانت للعدو فعلا ، كما اثبتت التطورات بعد ذلك ، خطة عامة ، وكانت هذه الخطة مبنية في مرحلتها الاولى على اختراق مواقعنا • فلما فشل العدو في محاولاته معنا لجأ الى طريق آخر ، فهجم على تقاطع الطرق عند عراق سويدان •

ومرة اخرى لو كانت لي القدرة على الرؤية البعيدة ، لكنت رأيت الكولونيل ييغال آللون الذي كان يقود قوات العدو في معارك النقب وهو يخطب في جنوده لكي يشجعهم ثم يخرج بهم الى معركة تقاطع الطرق •

ولقد تلقيت سقوط موقع تقاطع الطرق عند عراق سويدان بدهشة • كنت ادرك أن الموقع بالغ الاهمية بالنسبة لنا ، فان سقوطه معناه عزل قواتنا على القطاع الممتد من عراق سويدان الى الخليل عن مجموعة الجيش الرئيسية العاملة على الخط الساحلي بين غزة واسدود •

وكنت اعرف ان قوتنا في هذا الموقع هائلة • ولست اذيع سرا اذا قلت الان ان اثني عشر مدفعا من مدافع الفيكرز كانت تحمي هذا الموقع •

ولقد صدقت الكارثة بعد ان علمت التفاصيل • وكان يجب ان تحل بنا هذه الكارثة ، ولم يكن معقولا ان يكون نصيبنا غيرها ازاء الحال التي كانت الامور عليها هناك • كان هذا الموقع في حماية الكتيبة التاسعة ، ولكن قائد الكتيبة كان في اجازة ، وقتل قائدها الثاني في ضربة مباشرة لقنبلة هاون ، وركب قائدها الثالث سيارة وانطلق بها ولم يتوقف الا في الاسماعيلية ، اما القائد الرابع فقد ترك الكتيبة وذهب الى القيادة العامة في المجدل •

ومن سوء الحظ ان عبد الحكيم عامر الذي كان اركان حرب لهذه الكتيبة كان قد نقل منها ليعمل اركان حرب للكتيبة الثانية • واقول ـ وانا واثق ان الصداقة وحدها ليست هي المنبع الذي يصدر عنه قولي ـ انه لو كان عبد الحكيم عامر ما يزال اركان حرب لهذه الكتيبة لتغير مجرى المعركة ، ولما استطاع العدو ببساطة ان ينجح في هجومه

الليلي على الموقع ويدخله مفاجأة وغدرا ٠

كان الطريق بيننا وبين المجدل قد قطع بسقوط تقاطع الطرق ٠ وضرب العدو ضربته الثانية حين تقدم من خربة الامير الى الطريق الرئيسي فاحتل جنوبه ايضا كما احتل شماله ، وقطعنا عن بيت جبرين

اذن فقد اصبحنا محاصرين تماما من الشرق ومن الغرب ٠ وبدأت ادرك اننا على ابواب اوقات عصيبة ٠ كان الموقف اكثر من خطير ، وكان العدو نشيطا الى حد يفوق طاقة الاحتمال ٠

بدأت الغارات الجوية على مواقعنا تزداد كثرة وشدة ٠٠ واختفى طيراننا تماما ولم نعد نراه ٠ وراحت مدفعية العدو تصب الحمم فوق رؤوسنا لا تهدأ لحظة ولا تتركنا نهدأ ٠ وكان اكثر مما يضايقني فيما حدث انه كان بين قواتنا عدد كبير من الجرحى ، وكان الذي اتمناه ان نجد طريقا نستطيع منه اخراج الجرحى الى حيث نضمن لهم العلاج ، وكان بقاؤهم بيننا يضغط على مشاعرنا ضغطا عنيفا قاسيا ٠

وكان هناك بعض المرضى الى جانب الجرحى ٠ ولقد دخلت في الصباح على صديق فاذا هو يتلوى من الالام ، واذا الفحص يثبت انه يعاني ازمة عنيفة في المصران الاعور ، وانه من الضروري ان تجرى له جراحة عاجلة ، والا انفجر المصران ٠ ولكن كيف يمكن ان تجرى له العملية الجراحية ٠ وخرجت ثائرا اطلب الى حمالاتنا ان تخرج لاستكشاف طريق آخر للوصول الى بيت جبرين ٠ وكانت فرحتي لا تقدر عندما عادت دورية الحمالات بعد ان اكتشفت طريقا جانبيا ما زال مفتوحا الى بيت جبرين ٠

وتنهدت بارتياح وانا اعهد بالجرحى والمرضى الى واحد من ضباطنا لكي يخرج بهم في قافلة تجتاز الطريق الخلفي الى بيت جبرين ٠

وهممت في ذلك اليوم ان ارفع جهاز اللاسلكي واضربه في الارض لامزقه واستريح من الهراء والهدر الذي كان ينصب علينا بواسطته ٠ فلقد جاءتنا الاخبار ان مجلس الامن عاد فأمر بوقف القتال ٠ الا تحرك مجلس الامن ٠ اين كان ، واين كان الخطباء فيه ٠

لقد تحرك العدو يوم ١٥ اكتوبر ، ولكن مجلس الامن اغلق عينيه وسد اذنيه ، وحبس لسانه ٠ ومضت ايام ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ وفيها استطاع العدو ان يقطع خطوطنا ، واذا مجلس الامن يفتح عينيه واذنيه

ويصدر امرا بوقف القتال ·

وهي خطة مرسومة · هي مؤامرة علينا · هو لعب باقدارنا ومصائرنا واعمارنا · هو هزل وعبث ··· والنار المصبوبة فوقنا والطرق المحاصرة حولنا لا تسمح لنا ان نشترك فيه ·

وفي صباح يوم الخميس ٢١ اكتوبر دعينا الى مؤتمر في الفالوجا · وكان المؤتمر لقواد الكتائب في المنطقة المحاصرة واركانات حربها · وكانت هذه الكتائب ثلاثا ، هي الكتيبة الاولى والكتيبة الثانية ، وكتيبتنا الكتيبة السادسة ·

ورأس المؤتمر الاميرالاي السيد طه قائد الكتيبة الاولى· وقال لنا السيد طه انه تلقى من رياسة القوات امرا انذاريا بالاستعداد للانسحاب على ان يرتب امره لبدأ الانسحاب في الساعة السادسة والنصف بعد ان يتلقى امرا تأكيديا بالبدء فيه·

وكان من رأيي ان هذا خير ما نصنعه· لقد كنا ثلاث كتائب هي ثلث الجيش المصري، فهل يعقل ان يبقى ثلث الجيش المصري مستسلما للحصار في مواقع سدت عليه من الشرق ومن الغرب·

هذا من ناحية· ومن ناحية اخرى فقد كنت ارى ان بقاءنا في هذا الخطر لم يعد له غرض· لقد كنا هنا لكي نفصل النقب الجنوبي عن الشمال· ولقد اتصل النقب الجنوبي مع الشمال، فلماذا بقاؤنا·

ومن ناحية ثالثة، فقد كنت اشعر ان انسحاب ثلاث كتائب الى الخليل سوف يرغم العدو على توزيع قواته بينها وبين مجموعة الجيش الرئيسي على الساحل·

وبدا أن كل من في المؤتمر مقتنع بهذا الرأي الا رئيسه الاميرالاي السيد طه· ومع ذلك فلم يسعه الا ان ينزل على الاجماع ويلتفت الي ليكلفني بوضع الخطة المفصلة للانسحاب بواسطة الطريق الجانبي الذي لم ينته اليه العدو والذي بعثنا الجرحى منه الى بيت جبرين·

وانتحيت ركنا من قاعة الاجتماع ارتب الخطة، ولم يقدر لي ان اتم وضعها، فما لبث السيد طه ان تلقى امرا ثانيا من رياسة القوات يقول:« يلغي الامر السابق بالانسحاب، حافظوا على مواقعكم· امر ايقاف القتال صادر لمصلحتنا»·

وكان ايقاف ضرب النار طبقا لقرار مجلس الامن يبدأ في الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة ٢٢ اكتوبر·

واوقفنا الضرب في الموعد المحدد ولكن العدو لم يوقف ضربه ولا اوقف قواته عن احتلال المواقع التي تستكمل منها حصارنا. وكنت في قلبي اتمنى ان يركز العدو جهده على طريق الاسفلت الرئيسي وينسى الطريق الجانبي الى بيت جبرين، حتى يظل منفذا مفتوحا امامنا.

ولكن الاماني شيء والواقع شيء اخر.

فلقد طلع صباح السبت ٢٣ اكتوبر واذا العدو قد احتل الطريق الجانبي وحصن مواقعه عليه، ومعنى ذلك ان حصارنا قد كملت حلقاته ولم يعد خلاله منفذ.

وفي الساعة الواحدة عند الظهر تلقى السيد طه امرا جديدا من رياسة القوات بالانسحاب الى الخليل. ولكن واأسفاه. فان الفرصة كانت قد افلتت. ان طول التردد جعل الذي كان ممكنا بالامس مستحيلا تمام الاستحالة في اليوم . لقد قطع الطريق الخلفي الذي كنا نعتمد عليه.

لقد كان ممكنا ان ننسحب في سلام منذ ساعات، ولكن الوضع الان يحتم علينا ان نخترق حصار العدو، ونقتحم خطوطه ونحن نحمل سلاحنا ومدافعنا، ونتحرك على الطريق.

واضطررت عند الظهر، وقد استبان الموقف من كل نواحيه، ان اصدر امرا بتخفيض المؤن اليومية للضباط والجنود الى ربع ما كانت عليه.

يجب ان نرتب انفسنا للمجهول الغامض الذي يحيط بنا.

وقضينا ليلة عجيبة تحت معركة مثيرة من حرب الاعصاب. طارت طائرات العدو على مواقعنا تلقي المنشورات. وامسكت احدها اقرأه .... كان بيانا موجها الينا على النحو التالي:

«ايها الضباط والصف والعساكر باللواءين الثاني والرابع».

ومضيت اقرأ المنشور حتى اخره... ودمي يغلي. كان نصه كما يلي:

«ايها الضباط والصف والعساكر باللواءين الثاني والرابع. هل تعلمون انكم محاطون الان. اللواء الثاني محاط وكذلك اللواء الرابع، ولا توجد اي وسيلة للاتصال بينهما ولا مفر من الاحاطة. هل تعرفون ما معنى الاحاطة. ان الاحاطة معناها الفناء والموت وانكم لتشعرون بذلك في المستقبل القريب، ولا يستطيع قوادكم ان يبروا بوعودهم الكاذبة قائلين بان النجدات من الرجال والمهمات والوقود ستصلكم قريبا. كلا. احتلت القوات الاسرائيلية بئر السبع بعدما دقت قواتكم دقا وسحقتها سحقا تاما. واذا اتكلتم على النجدات التي سيبعثها الملك عبدالله،

فاعلموا انه لا ينوي الا طرد قواتكم من قواعدها في بيت لحم والخليل. فانكم ترون الان في هذه البلاد نتائج الدعاية الكاذبة التي كنتم تصدقونها قبل ما ارسلتم من مصر. وصف قوادكم وساستكم مرحلة فلسطين بانها سهلة، ووعدوكم بالغنائم والتمتع. اين الغنائم. واين التمتع. فلن تجدوا هنا الا المصائب ولم تلاقوا الا الخسائر الفادحة. ولن تلاقوا غير هذا في المستقبل. وقد شاهدت عيونكم ان اليهود يعرفون الدفاع عن وطنهم واراضيهم ويحسنون التحارب، فانهم لم يحتلوا بلادا غريبة ولم يفتكروا - ولا يفتكرون - في احتلال اي بلاد ليست لهم. واذا تطلعتم بالخريطة تبين لكم ان الجيوش الاسرائيلية تحيطكم احاطة السوار بالمعصم.

«وعليكم ان تختاروا: اذا اردتم البقاء في الحياة فاستسلموا وستعودون سالمين الى بلادكم، واعلموا ان كذب من قال باننا نقتل الاسرى فهذه اقبح دعاية اخترعها قوادكم الذين ينتظرون الاوسام والنياشين، ولا يكترثون بموت المئات والالوف من جنودهم.

«هل لهم النياشين ولكم الفناء.

«لقد امر اللواء احمد بك محمد علي المولوي الجنود المحاطين في بيت عفا وفي عراق السويدان، بالقتال حتى الموت. ولكن اين سعادة صاحب العزة الان. انه ولى دبره تولية الجبان بعدما اسرنا من ضباط رئاسته. واين قائد بئر السبع. لقد ترك جنوده منهزمين وهرب. فر في التقاطع وثبت الجيش. كان القائد اولى الهاربين. وكذلك في الحليقات وغيرها من المواقع التي احتلتها قواتنا.

«افتكروا قبل الموت اصغوا الى اخوانكم الاسرى يدعونكم للاستسلام. انجوا انفسكم واستسلموا كل من يحضر وبيده هذا المنشور ستؤمن حياته ويعود سالما الى بيته.

«ايها الضباط، اعلموا اننا سنحترم حقوق مندوبكم الذي يتقدم حامل الراية البيضاء لتجري معه المفاوضات. وثقوا باحترام حقوقكم العسكرية في اديارنا. اعلمتم. انذرتم».

وفي الصباح بدأت مرحلة جديدة من حرب الاعصاب. جاءني احد الجاويشية يقول: ان سيارة مدرعة، من سيارات العدو، واقفة على الطريق خارج مواقعنا، رافعة راية بيضاء وعليها ميكروفون يصرخ باعلى صوته: «ضابط اسرائيلي يطلب مقابلة ضابط مصري».

وركبت سيارة جيب وطرت الى هذا الموقع، واذ السيارة واقفة حيث سمعت والراية البيضاء ترفرف فوقها، والميكروفون ما زال يصيح: «ضابط اسرائيلي يطلب مقابلة ضابط مصري».

وقررت ان اذهب بنفسي. وطلبت من جنودنا ان يرفعوا البوابة التي تسد الطريق امام مواقعنا، ثم قفزت الى سيارة الجيب كما انا. كنت مرتديا بنطلونا عسكريا وبول اوفر من الصوف الكاكي اللون. وقفز معي الى الجيب اثنان من زملائنا الضباط. وجاء معنا جاويش يمسك مدفعا من مدافع التومي.

وانطلقت بالجيب باقصى سرعة على الطريق في المنطقة الحرام بيننا وبين العدو في اتجاه المدرعة التي ترفع العلم الابيض وتطلب باعلى صوتها ضابطا مصريا لكي يقابل ضابطا اسرائيليا.

كان الجو غريبا مثيرا. وكانت مشاعري وانا منطلق بسيارة الجيب على الطريق متباينة.

ها هي احدى مدرعات العدو امامنا تطلب واحدا منا. وها انا منطلق اليها لاقابل احد الضباط الذين كنت اجاهد لقتلهم، وكان هو ايضا من ناحيته يجاهد لقتلي.

وكان موقفنا كما اعلم: حصار كامل، ونار لا تهدأ، ودبابات وطيارات ومنشورات ايضا.

وكان الصمت على الطريق كاملا الا دوي محرك الجيب. واوقفت سيارة الجيب في حذاء مدرعة العدو ملاصقة، واطل ركابها من ضباط العدو علينا وفي عيونهم دهشة، ثم استجمع واحد منهم كبرياءه وشد رأسه في عنجهية مكشوفة وقال بالانكليزية: «انا المساعد الشخصي للقائد العام لهذا القطاع. وانا مكلف بان اشرح لكم موقفكم. انكم محاصرون من كل ناحية. ونحن نطلب اليكم التسليم».

وقلت له في هدوء، فقد نزلت على اعصابي سكينة غريبة: «اما الموقف فنحن نعرفه جيدا... ولكن الاستسلام لن يحدث».

ثم قلت دون ان تختلج في صوتي نبرة: «نحن هنا ندافع عن شرف جيشنا».

وبدأ يتكلم بالعبرية وأحد مرافقيه يترجم... ثم عاد يتكلم بالانكليزية. ثم تنازل عن كبريائه وبدأ يتكلم العربية وهو يشرح لنا الموقف حولنا.

وقلت له: انك تحاول عبثا، ونحن نرفض الاستسلام·

وحملق في وقال في استنكار: الا ترجع الى قائدك وتسأله·

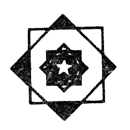
وقلت له: هذا موضوع ليس فيه مجال للسؤال

وحملق في··· وساد الصمت بعض الوقت وهو ينظر الينا، ونحن ننظر اليهم، وفجأة احسست ان قناع الكبرياء المصنوع على وجهه كله يرتفع، وقال في صوت خافت مؤدب: لنا طلب انساني عندكم· قلت : ما هو·

قال: نريد ان نسحب قتلانا عندكم في المعركة السابقة··· انت تعرف ان اهل القتلى يحبون الاحتفال بدفن ابنائهم فهل تمانعون·

ونظرت، وصوته الخافت المؤدب يثير في اعماقي شعورا غريبا بالراحة والرضاء· نحن نوافق لكم على هذا الطلب الانساني·

وحين عدنا الى مواقعنا مرة اخرى عبر الطريق، كانت سيارة الجيب الصغيرة التي كنا فيها نضج بالضحك والمرح· كنا نقارن بين بداية المقابلة ونهايتها· العنجهية والكبرياء عند طلب التسليم والادب والحياء عند طلب جثث القتلى·





يوم كان ضابطا على جبهة الفالوجة - (١٩٤٨)

الجزء الثالث

القسم الأول

التجربة بخط يده
من دفتر يوميات الكتيبة السادسة
نماذج من تسجيل عبد الناصر الرسمي لوقائع الحرب
في القسم الذي لم يتح له اعداده للنشر

١٢ رجب — الجمعة ٢١ مايو ١٩٤٨ — ١٣ بشنس

Vendredi 21 Mai 1948

وصلتني استمارة من المجموعة [illegible] عن معركته
مع اليهود ... وقد أثبت الخسائر التي لحقت
اليهود ... وفي آخر الاستمارة نبأ استشهاد [illegible]
[illegible] الملازم أول بقوة [illegible] ... [illegible]
[illegible] .. كان [illegible] الضابط [illegible]
الضباط في [illegible] ... وكنت في [illegible]
[illegible] حالته ... كان [illegible] في [illegible]
[illegible] عطا الله [illegible] .. وقد كتبت إلى [illegible] للتوصيل
[illegible] إلى [illegible] الضباط [illegible] ... [illegible]
في [illegible] ... [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] ... [illegible]
في [illegible] ... [illegible] الأمر.
[illegible]
[illegible] ... [illegible] مصر ... [illegible].
[illegible]

١٩ـ٣٤٧

١١ صفر — الأحد ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ — ٣ كيهك

Dimanche 12 Décembre 1948

أكلت اليوم (كوسة) لأول مرة منذ ١٦ أكتوبر ١٩٤٨
[illegible] كيف [illegible]
ووصلت استمارة من [illegible] إدارة [illegible]
[illegible] .. [illegible]
[illegible] ..
[illegible] سفينة [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] القانونية
[illegible] وكذلك [illegible]
[illegible]

ديسمبر ١٩٤٨ من اليوميات : بخط يد الرئيس الراحل

● **يوم ٣١ اكتوبر** الساعة ١٦٠٠

تبلغ لرئاسة الكتيبة ان اليهود ارسلوا عربة مصفحة عند عراق الخراب ، عليها علم ابيض ، وبها ميكروفون ، تطلب ضابط مصري ... خرج قائد الكتيبة واركان حرب الكتيبة وقائد السرية الثانية لمقابلة اليهود في عربة جيب ، وكان اليهود في عربة مصفحة ، وبدأ الضابط اليهودي حديثه بالعبرية ، وكان معه مترجم يشرح موقف قواتنا ، وانه لا امل لنا في اللحاق بقواتنا ، وان الحل الوحيد هو التسليم ، وانه مندوب عن جيش الهاجاناه ، ويطلب ذلك منا ، على ان المعاملة ستكون لائقة ، وبذلك تكون الحرب لهذه القوة قد انتهت ، وتعود سالمة .. وقد اجيب ان كلامه الذي هو عبارة عن ترديد للمنشورات التي تلقيها طائراتهم قد عرفه جميع الجنود ، وان هؤلاء الجنود يرفضون الاهتمام بمنشوراتهم ويسخرون من هذه المبادىء الحديثة منهم ، ويعلمون الان انهم يدافعون عن شرف بلادهم لا عن شيء آخر ، وليعتبر النقاش في هذا الموضوع منتهيا .

وبعد ذلك قال الضابط اليهودي ان له طلبا آخر ، وان هذا الطلب انساني ، وهو يتعلق بالقتلى اليهود المتروكة جثثهم امام مواقعنا منذ معركة ١٦ اكتوبر ، وهو يطلب استلامهم ، وصار الاتفاق معه على ان يأخذوا قتلاهم الذين سيوضعوا في المنطقة الحرام ساعة ١٢٠٠ - يوم اول نوفمبر - وبجوارهم بيرق ابيض .

● **يوم اول نوفمبر** الساعة ١٢٠٠

حضر اليهود واخذوا جثث قتلاهم . كالاتفاق السابق .

الساعة ١٥٠٠

نقض العدو اتفاقية ايقاف القتال وقام بضرب عراق المنشية حتى ساعة ١٧٠٠

الساعة ٢٠٠٠

قام العدو بضرب عراق المنشية بالطيران .

● **يوم ٢ نوفمبر** الساعة ٨٠٠

ظهر ان العدو قد احتل عراق الخراب ووضع فيها مدافع ماكينة ، وبذلك اصبح الطريق الاسفلت الذي يقطع عراق المنشية مغمورا بنيران

الاسلحة الصغيرة . وكذلك الناحية الشرقية والمواقع الشرقية من البلدة ٠

الساعة ١١٠٠

وصول طائرات مصرية (٦ للتموين)

الساعة ١٥٠٠

العدو يضرب عراق المنشية بالهاون بشدة

الساعة ١٦٠٠

وصول طائرات مصرية (٦ للتموين)

استمرار ضرب الهاون طول الليل

الساعة ٢٠,٣٠

معلومات ان العدو يقوم بالهجوم على عراق سويدان

● **يوم ٣ نوفمبر** الساعة ٥٠٠

تجمعات شديدة من مدفعية العدو على البلدة من مواقع العدو في عراق الخراب وجنوب عراق المنشية ٠

الساعة ٦٠٠

بلغت السرية الثانية جنوب شرق البلدة ان العدو يتقدم بمصفحات ٠٠ غمرت المنطقة بنيران الهاون ٤,٢ و ٦ رطل ، فانسحبت المصفحات ٠٠ الضرب مستمر بتقطع طول اليوم ٠٠ يخفت ويشتد ٠

الساعة ١٥٠٠

بلغت نقطة الملاحظة فوق تبة الشيخ على ان تجمعات العدو جنوب البلدة ضربت عليها مدفعية الفالوجا ٠

الساعة ١٧٠٠

بلغت نقطة الملاحظة ان هناك تجمعات في مستعمرة جات ضربت عليها مدفعية الفالوجا ٠

الساعة ١٧,٤٥

ضرب عراق المنشية بالمدفعية بشدة ، وبلغت المدرسة ان مصفحات معادية متقدمة في اتجاه المدرسة ، وقد انسحبت بعد فتح ٦ رطل ٠٠ استهلك عدد كبير من ذخيرة الاسلحة الصغيرة ٠٠٠ خسائرنا اليوم كله قتيل وجريح ٠

● **يوم ٤ نوفمبر** الساعة ٩٠٠

الضرب مستمر من الشمال والشرق والجنوب بالهاون والاسلحة الصغيرة

الساعة ١٠,٣٠

العدو يناوش على القوات السودانية بعدد قليل من العدة ... ضرب العدو بالهاون ٤,٢ ... استمر العدو في مناوشته ثم انسحب .

الساعة ١١,٣٠

حضر الى مركز الرياسة عدد من العساكر السودانية بالسلاح مركبين السونكيات ، في روح معنوية سيئة ، ويقولون انه اذا لم ينته هذا الحال فسيتركوا المواقع ، ولا يمنعهم من ذلك الا ان الطريق مقفل .. العدو يتحرك حولنا بمنتهى الحرية ، ويقوم بمناوشة قواتنا من الشمال والشرق والغرب ... وبدأنا نشعر ان الغرض من ذلك هو استهلاك الذخيرة .

● **يوم ٦ نوفمبر** الساعة ٦٠٠

طائرة معادية تسقط منشورات تقول ان الجيش الاسرائيلي داخل المجدل ، ويطلب التسليم حيث لا مفر .. ويشترط الاحتفاظ بالاسلحة والعربات .

● **يوم ٨ نوفمبر**

لا زال الضرب مستمرا على البلدة .. نيران متقطعة .. اسقطت الطائرات تموين ومعه خطابات للجنود وعدد قليل جدا من الجرائد .

● **يوم ٩ نوفمبر** الساعة ٢٠ .. ـ

اخبار ان العدو استولى على مركز عراق المنشية .. وقد خرج منه ضابط وبعض الجنود .. لا زال العدو يناوش مواقعنا .

● **يوم ١٠ نوفمبر** الساعة ٦٠٠

طائرة معادية تسقط منشورات ان العدو استولى على مركز عراق سويدان الحصين .. وتطلب التسليم علما ان الكتيبة الثانية انسحبت الى الفالوجا .

الساعة ١٠ ..

قامت مدفعية الفالوجا بضرب جات ، وعملت حريقة بها .

الساعة ١٥ ..

وصلت مصفحة يهودية عليها العلم الابيض في الارض الحرام بين عراق المنشية وعراق الخراب ، وخرج اركان حرب الكتيبة لمقابلتها ومعه ضابط المخابرات ، وقد طلب الضابط اليهودي تحديد ميعاد

ليتقابل القائد المصري مع القائد الاسرائيلي .. اتفق الطرفان على ان يكون الرد الساعة ١٠٠٠ يوم ١١ نوفمبر ... أوقف العدو اطلاق النار .

● **يوم ١١ نوفمبر** الساعة ٠٠ ١٠

وصل الضابط اليهودي الى الارض الحرام بين عراق المنشية وعراق الخراب ، ولما علم ان القائد المصري وافق على المقابلة بين ساعة ٠٠ ١٥ و ٠٠ ١٦ ، قال له ان الخيار بين جات وبيت جبرين .. اتفقنا على ان تكون المقابلة في جات الساعة ٣٠ ١٥ .

الساعة ٠٠ ٢١

اخبار من الرئاسة انه ينتظر وصول القافلة.. كلمة السر « حصان »

الساعة ٠٠ ٢٣

بعد رفض القائد المصري التسليم الذي عرضه عليه القائد اليهودي استأنف العدو اطلاق النيران بشدة حتى الصباح .

● **يوم ١١ نوفمبر** الساعة ٠٠ ٩

يحاول العدو اتخاذ مواقع قريبة من مدافعنا من جهة الجنوب والجنوب الغربي ، ويظهر من ذلك انه يحاول ان يفصل بين عراق المنشية وموقع الكوبري القريب من الفالوجا .. ولم نتمكن من ضربه لقلة الذخيرة .

الساعة ٠٠ ١٠

ذهب اركان حرب الكتيبة لمقابلة قائد اللواء في الفالوجا وليشرح له الموقف .. وكانت النتيجة تقوية موقع الكوبري لانه اضعف نقطة واصبح قريبا من موقع العدو .

● **يوم ١٢ نوفمبر** الساعة ٠٠ ٩

مؤتمر لقادة الوحدات بالفالوجا .

الساعة ٠٠ ١٠

كان المؤتمر لبحث طلب من الرياسة بالانسحاب .. ولو بعد تدمير العتاد .. وكان الرأي ان ذلك مستحيل ، اذ ان العدو اصبح مطوقا لنا من كل الجهات ، وقواتنا على مسافة كبيرة .

● **يوم ١٢ نوفمبر** الساعة ٠٠ ٩

لا يزال العدو يتخذ مواقع جديدة في الجنوب والجنوب الشرقي ، واصبح قريبا جدا من عراق المنشية ، واصبحت البلدة تحت نيران

الاسلحة الصغيرة باستمرار ، واصبحت اي حركة داخل البلدة معرضة لنيران الاسلحة الصغيرة ٠

الساعة ·· ٢٣

بلغت السرية السودانية ان اليوزباشي صلاح سالم وصل من غزة وانه الان موجود على رأس السرية السودانية ٠

● **يوم ١٣ نوفمبر** الساعة ·· ١٠

عقد مؤتمر من قادة الوحدات واركان حربها لبحث موقف التعيين ، وهل من الممكن الانسحاب للخليل بعد تدمير الاسلحة الصغيرة ·· استقر الرأي على صعوبة الانسحاب ·· استمر اطلاق نيران الهاون والاسلحة الصغيرة على عراق المنشية ٠

● **يوم ١٤ نوفمبر** الساعة ·· ١١

لم تنقطع نيران العدو حتى الان ·· ظهرت عربة يهودية عليها البيرق الابيض من جهة عراق الخراب ·· خرج اركان الحرب وضابط المخابرات لمقابلتها ·· ظهر انها عربة يهودية ومعها عربة من الصليب الاحمر بها ادوية ·· قال الضابط اليهودي ان هذه الادوية من اليهود وانهم مستعدون لارسال طبيب لنا اذا كنا نوافق ، اما الجرحى فهم مستعدون لاخلائهم في المستشفيات اليهودية كاسرى حرب ·· بلغت هذه الرسالة بواسطة ضابط المخابرات الى قائد لواء الفالوجا الذي قبل اخذ الادوية ورفض احضار الطبيب او اخلاء الجرحى الى الخطوط اليهودية

● **يوم ١٨ نوفمبر** الساعة ·· ١٦

طلبت الكتيبة من قائد اللواء احتلال موقع يقع على تبة بين موقع الكوبري وعراق المنشية ، نظرا لان اليهود يضيقون الخناق على عراق المنشية من جهة الجنوب الغربي ، ويتقدمون يوميا حتى اصبح في امكانهم قطع الطريق بين الفالوجا وعراق المنشية لو احتلوا هذه التبة ·· وقد وافق قائد اللواء على ان تقوم سرية من الكتيبة الثانية مشاة باحتلال هذه التبة ··· بلغت الكتيبة من رئاسة اللواء بالفالوجا ان اليوزباشي معروف الحضري سيحضر من الخليل ···· وبلغ ذلك للسرايا ٠

الساعة ·· ٢٢

وصل الى مواقع السرية الثانية اليوزباشي معروف الحضري ومعه ثمانية خيول و ٢٥ متطوعا عربيا ، ومعه مفرقعات ٠

● **يوم ١٩ نوفمبر** الساعة ٠٠ ٩

الضرب مستمر على البلدة بالهاون والاسلحة الصغيرة ·· توجه اليوزباشي معروف الى الفالوجا في عربة مصفحة ·

● **يوم ٢٠ نوفمبر** الساعة ٠٠ ١٩

اليوزباشي معروف يغادر عراق المنشية الى الخليل ، ويتركون صول انكليزي من قوات شرق الاردن ·

● **يوم ٢٢ نوفمبر** الساعة ٠٠ ٩

نشاط غير عادي ·· العدو يضرب ·· انفجار جوي (واسلحة صغيرة) ·· يعمل ستار الدخان على الموقع ·

الساعة ٠٠ ١٧

العدو يعمل ستار الدخان على جميع المواقع ، ويغمرها بالاسلحة الصغيرة ، ويتقدم بمصفحاته الى قرب المواقع وينسحب ·· استهلكت قواتنا كمية كبيرة من الذخائر نظرا لستائر الدخان ·

● **يوم ٢٣ نوفمبر** الساعة ٠٠ ١٦

خبر من رئاسة اللواء ان معروف سيصل هذا المساء ·· العدو اتخذ مواقع جديدة في الطريق الذي سلكه معروف في المرة الماضية ·

الساعة ٠٠ ١٩

ارسلت دورية من السرية الثانية لملاقاة معروف خلف المواقع المعادية واحضاره بعد ملاقاته عبر المواقع اليهودية ·

الساعة ٢٢,٣٠

قابلت الدورية اليوزباشي معروف واحضرته بعيدا عن المواقع اليهودية ، وقد وصل ومعه ٤٣ جمل وثلاث خيول وتموين وذخيرة ·

● **يوم ٢٤ نوفمبر** الساعة ١٩,٣٠

خرج اليوزباشي معروف ومعه ثلاث خيول ومعه الضباط الجرحى من عراق المنشية الى الخليل ·

● **يوم ٢٧ نوفمبر** الساعة ٠٠ ١٩

دورية معادية تصل الى مواقع السرية السودانية وتطلق عليها نيران شديدة ·· رد السودانيون واستهلكوا كمية كبيرة من الذخيرة ·

● **يوم ٢٨ نوفمبر** الساعة ١٩٠٠

دورية معادية مرة اخرى تطلق على السرية السودانية نيران شديدة

.. السرية لا تجيب عليها .

● **يوم ٢٩ نوفمبر** الساعة .. ١٩

دورية معادية مرة اخرى تطلق على السرية السودانية نيران شديدة .. السرية لا تجيب عليها .

● **يوم ٣٠ نوفمبر** الساعة .. ١٠

كان صول التعيين موجودا في الفالوجا لاحضار بعض التعيينات ، وعند عودته في حمالة وقع في كمين من المفرقعات في الطريق فعطلت الحمالة ومات الصول وجرح ثلاث عساكر .. لم يمكن ارسال اي شخص لان الطريق مغمور بنيران الاسلحة الصغيرة .

الساعة .. ١٨

خرجت جماعة من فصيلة الالغام لرفع الالغام ، ولكن وجدت كيس به مفرقعات لم ينفجر في جانب الطريق .. عادت الدورية لاخذ قالب قطن بارود ، وعادت فقابلها كمين من العدو اطلق عليها نيرانه ، فقتل واحد وجرح اثنان ، ولم يرفع الكيس الموجود في الطريق .

● **يوم ١ ديسمبر** الساعة .. ١٨

خرجت دورية ونسفت المفرقعات الموجودة بالطريق .. تعينت دورية للمرور يوميا على الطريق ساعة .. ٤

● **يوم ٦ ديسمبر** الساعة .. ١١

تجمعات للعدو في الجنوب عند التقاطع .. اطلقت عليها نيران الهاون ٤٢ .. بلغ عدد الجرحى في الكتيبة حتى الان ٤٢ جريحا .

● **يوم ١٠ ديسمبر**

مطر مستمر .

● **يوم ١٤ ديسمبر** الساعة .. ١٠

لا زال المطر مستمرا .. المواقع اليهودية الموجودة حولنا تستعمل الحبال .. فتحت السرية السودانية النيران على قوة كانت متجهة الى المواقع اليهودية الموجودة امامها .

● **يوم ١٥ ديسمبر** الساعة .. ٢٠

فتح العدو نيران شديدة من الاسلحة الصغيرة والهاون على جميع المواقع ، واستمرت حتى ساعة .. ٢٢ ثم اصبح الضرب متقطعا .

● **يوم ٢٥ ديسمبر** الساعة .. ٩

لا زال العدو مستمرا في اطلاق النيران المزعجة ٠

● **يوم ٢٦ ديسمبر** الساعة ٠٠ ١٠

نشاط العدو غير عادي

الساعة ٠٠ ٢٠

غارات معادية من الجو على عراق المنشية

● **يوم ٢٧ ديسمبر**

حلقت خمس طائرات معادية فوق عراق المنشية والقت قنابلها ٠

الساعة ٠٠ ٩

بدأ العدو يضرب عراق المنشية بالمدفعية الثقيلة ضربا شديدا مستمرا بدون توقف ٠٠ قطع الاتصال التليفوني بين الكتيبة والفالوجا ٠

الساعة ٠٠ ١٦

لا زال العدو يضرب البلدة بالمدفعية الثقيلة ٠٠ الخسائر قليلة ٠٠ حلقت ست طائرات معادية والقت قنابلها ٠٠ لا زال الاتصال التليفوني بين الكتيبة والفالوجا مقطوعا ، وقد اصبح الاتصال معها باللاسلكي على شبكة رئاسة القوات كل ساعة ٠

الساعة ٢٢,٣٠

ما زال العدو يضرب البلدة بالمدفعية بشدة ، وقطعت الاسلاك التليفونية بين الكتيبة والسرايا ، وقام افراد الاشارة باصلاحها عدة مرات ، وتكبدوا بعض الخسائر ، وقد قطعت الاسلاك مرة اخرى مع جميع السرايا ما عدا السرية الثانية وفصيلة الهاون ٤,٢ ٠

● **يوم ٢٨ ديسمبر** الساعة ٠٠ ٢

تمكن العدو من التسلل الى القطاع للسرية الثانية السودانية بدون قتال ، واستولى على مواقع السرية التي انسحبت ٠

الساعة ٢,٣٠

بلغ قائد السرية السودانية رئاسة الكتيبة بان العدو استولى على مواقع السرية ما عدا الفصيلة الشمالية ، ودخل البلدة ٠

الساعة ٢,٣٥

ارسلت اشارة مع مراسلة الى الفصيلتين الاحتياطيتين لسد الثغرة التي فتحت في الخط ، فتحركنا في الحال لسد الثغرة ، ولكن كان العدو قد توغل في البلدة ، فقابلهم في التين الشوكي والقى عليهم القنابل اليدوية ، فقتل ١١ وانسحب الباقون ، وتقدم العدو الى مقر حملة

الكتيبة التي اخذت تدافع عن نفسها في منزلين .. وحوصروا بواسطة العدو .. بلغ الموقف الى رئاسة اللواء في الفالوجا ، وطلب ارسال نجدة بسرعة ، وضرب مواقع السرية السودانية بالمدفعية لسد الثغرة .. قامت المدفعية بالضرب في الحال ، وابلغتها الموقف .. اتصلت الكتيبة مع السرية الثانية وطلبت منها ارسال فصيلة في الحال لرئاسة الكتيبة ، وعمل ترتيب دفاع عن الخلف والطرق المؤدية اليه ... صدرت الاوامر لجنود الرئاسة وفصيلة الاشارة والمراسلات بسد الطريق الموصل لرئاسة الكتيبة .. بلغ الموقف للسرية الرابعة وطلب منها الدفاع عن شمال قطاعها وارسال فصيلتين للقيام بهجوم مضاد .. قام العدو بهجوم على مواقع السرية الثانية ورد بخسائر .. بلغ الموقف لفصيلة الهاون ٤,٢ واستمرت المعاونة ٠

الساعة ٣ ..

وصل العدو الى مواقع الهاون ٤,٢ ، وفصيلة الحمالات في طريقه الى تل الشيخ علي .. ولكنه لم يتمكن من اختراق مواقع الفصيلتين ٠

الساعة ٣,٠٥

وصلت فصيلة من السرية الثانية وارسلت الى مواقع الهاون ٤,٢

الساعة ٣,٣٠

وصلت فصيلتان من السرية الرابعة وطلبت الكتيبة فصيلة اخرى من السرية الثانية ٠

الساعة ٤ ..

رئاسة اللواء في الفالوجا تبلغ الكتيبة انها ارسلت سرية ٠

الساعة ٥ ..

وصلت فصيلة من السرية الثانية .. والموقف مائع ٠

الساعة ٦ ..

تبين ان العدو متحصن في المنازل المواجهة للحملة والمنازل جنوب البلدة ٠

الساعة ٦,٣٠

قامت الفصائل التي جمعت من الاحتياط بهجوم مضاد في جهة الجامع لتطهير المنازل .. قامت حمالتان وجنود من سرية المعاونة بهجوم مضاد في اتجاه الحملة ٠

الساعة ٠٠ ٧

وصلت عربتان « هيمبر » وحمالة بها جماعة م ٠ م ٠ (مدافع ماكينة) من الفالوجا ٠٠ بدأت في تطهير التين الشوكي حول الحملة ٠

الساعة ٧,١٥

وصلت جماعة حمالات من الفالوجا ٠٠ استطاع الجنود ان يطهروا المنازل المحيطة بالحملة ، وتقدموا الى الجنوب وتمكنوا من تطهير جميع المنازل من اليهود ومن البلدة ٠

الساعة ٨,٣٠

سدت الثغرة التي فتحت في السرية السودانية بالحمالات و « الهيمبر » ٠٠ وانتهت المعركة ٠

الساعة ٠٠ ٩

قام العدو بغارة جوية على البلدة ٠

الساعة ٠٠ ١١

وصلت السرية التي طلبت من الفالوجا وقامت باحتلال مواقع السرية السودانية ٠

الساعة ٠٠ ١٦

قام العدو بغارة جوية على البلدة ٠٠ لا زال العدو يطلق نيرانه ٠

● **يوم ١٩ ديسمبر** الساعة ٠٠ ٩

غارة جوية على البلدة ٠٠ استمرار اطلاق النيران

● **يوم ٢٧ ديسمبر** الساعة ٠٠ ١٤

ايقاف القتال ٠

القسم الثاني

من دفتر المذكرات الشخصية لجمال عبد الناصر
نماذج من تفكيره كما سجله بنفسه في القسم الذي لم يتح له اعداده للنشر

● **الجمعة ٢١ مايو ١٩٤٨**

وصلتني اشارة من المتطوعين ببير سبع عن معركة مع اليهود ، وقد انسحبت القوات التي هاجمها اليهود ، وفي اخر الاشارة نبأ استشهاد انور الصيحي الملازم اول بقوة المتطوعين .. لقد تألمت جدا لهذا الخبر .. كان هذا الضابط اول من استشهد من الضباط في الميدان ، وكنت في ظروف اعتقاله قد لمست حالته .. كان معتقلا في حادث المؤامرة ضد عطا الله باشا ، وذهبت الى منزله لتوصيل مرتبه الذي جمعه الضباط الى والدته .. يسكن في السيدة زينب في منزل متواضع .. ويعول والدته واخته .. وكانت والدته مضطربة جدا .. وكانوا في حالة يرثى لها ، وكنت في منتهى الالم .. واليوم اتخيل هذه العائلة وقد فقدت انور في عز شبابه .. الله معهم ، يلهمهم الصبر ، ويجعله من سكان الجنة .

● **الجمعة ٤ يونيو ١٩٤٨**

كنت استعد للذهاب الى محمود بك لبيب ، عندما صدرت اوامر بالتحرك من غزة الى اسدود لغيار الكتيبة التاسعة .. تعينت قائدا لجماعات الاستكشاف .. تحركت الساعة ١٣٣٠ .. مريت على دير سميد لاخذ جماعة هاون وجماعة ٦ رطل لنا هناك .. مريت على المجدل ، ووصلت اسدود الساعة ١٦٠٠ .. قابلت عبد الحكيم والرحماني بك .. مريت مع عبد الحكيم على المواقع الدفاعية ، وكان الدفاع غريبا جدا فهو اشبه بالنقط الخارجية ، لا يوجد احتياط مطلقا من الفصيلة الى اللواء .. الجماعات على خط واحد .. مواجهة الكتيبة حوالي ٤ كيلو .. قابلت خليف وهيل ومصطفى حامد ، وكان كل شيء هادىء .. عرفت من عبد الحكيم ان هذا الهدوء نادر ، وان الوضع الدفاعي عبارة عن دائرة من كتيبتين تحيطها المستعمرات من كل جهة تقريبا ، وان المناوشات الليلية مستمرة .. وحكى لي عن هجوم اليهود ليلة ٣ يونيو بقوات كبيرة ،، والخسائر التي تكبدوها .. وذهبت الى محل الهجوم .. وكانت الرائحة لا تطاق ، والمخلفات التي تعبر عن العار ، وهذه النقطة هي اقصى ما وصل اليه الجيش حتى الان شمال اسدود .. ان الخط الدفاعي ليس به عمق ولا احتياط ، وهو عبارة عن مواقع نقط خارجية فيه ثغرات تسمح بالتسلل ، ولا توجد اسلاك او اي تحصينات سوى الحفر .

● السبت ٥ يونيو ١٩٤٨

وصلت الكتيبة السادسة الساعة ٠٠ ١١ ، وقابلها احد الضباط عند اول اسدود ، واستلمت محلاتها ، وقد بلغت القائد والضباط ان الموقف هنا يختلف جدا عن غزة ، فنحن محاطون بالمستعمرات من جميع الجهات ونشاط العدو ملحوظ ٠٠ وبقيت مساء في رئاسة الكتيبة في احدى الحدائق المجاورة للطريق ، واستمر كل شيء هادىء حتى الساعة ٣٠ ١٣ حين بدأت مدفعية العدو تصب نيرانها فجأة على الحديقة ، وكانت القنابل تسقط في مواضع متفرقة ، وابتدأ الضرب حيث كنت جالسا مع جاد بك الذي كان يلبس البيجاما ويجلس على السجادة ، وفوجئنا بصفير فوق رؤوسنا يشبه انفجار قريب رج ارض الجديقة ، وكانت المفاجأة وجرى كل منا الى حفرته ، وكنت مع محب وكمال بشارة في حفرة واحدة ، واستمر الضرب حتى بلغ عدد القنابل ٢٢ ، وكانت جميعها تسقط قريبة ، ولكن لم تحصل اي اصابة ٠٠ وتبع ذلك عواء الذئاب الذي يعتقد انها اصوات اليهود ٠٠ وتبعه اطلاق النيران ٠٠ ونلاحظ ان طلقات نارية تضرب من مكان قريب منا جدا ، واخرجت دورية لتفتيش الحديقة ، وفجأة حوالي الساعة ٠٠ ٢١ بدأ الخط يفتح نيران ، وطلب العوضي نيران نجدة من المدفعية ، وبلغني ان ذخيرة الهاون ٦٧ نفذت ، وطلبت من المدفعية نيران نجدة فاعطتها في الحال ، وبلغني العوضي انه يرى انوار متحركة امامه ، وعرفته ان ذلك ربما يكون الغرض منه استهلاك ذخيرتنا ، واني لن استطيع ان ارسل له ذخيرة في اثناء الليل ، وفعلا كان الاسراف شديدا في الذخيرة ، ولم يطمئن الجنود الا بعد اطلاق ذخيرة كاشفة ورؤيتهم انه لا يوجد عدو مطلقا ٠

حضرنا مؤتمر كان عبارة عن عدة مؤتمرات ، واحد بخصوص التأمين الاجتماعي ، وواحد بخصوص طلبات ادارة الجيش ، حضره (٠٠٠٠٠) الذي كان في منتهى الوقاحة ، اذ قال « اي ضابط من المدفعية احسن من بتوع المشاة الذين في منتهى الجبن » ، وقوبل بثورة من الجميع ، وقال احد الموجودين « قبل ما تتكلم تعالى امسك سرية » وقال « لعنة الله عليك ... كر وضباط المشاة يهجمون على المواقع اليهودية بالقميص وبدون ... لحة مدرعة ، الامر الذي لم نسمع عنه ٠٠ والحقيقة ان موقف (٠٠٠٠٠) ... في غاية السخافة » ٠

● الاربعاء ٣٠ يونيو ١٩٤٨

حضر عبد الحكيم ت وتكلمنا بخصوص الجواب المطلوب ارساله لمصر ، واخبرته ارسلته فعلا بالامس مع عبد الله مهدي ...... تكلمت مع الوالد وتحية تلفون الساعة ٣٠ ١٥ وكانت تحية تكرر السؤال دائما عن ميعاد العودة لا يعلمه الا الله ٠٠ في الساعة ٣٠ ١٦ حضرت مع جاد بك مؤتمر شاف طة لمقبلة على تختة الرمل ، وكان يشرح على الارض جبر ، ويساهم في ذلك رزق الله الفسخائي ونعمة الله بك ، واخيرا تكلموا عن الخطة ٠

اما الوقت فهو عبارة عن تكرار لليوم صحيان الساعة ٠٠ ٦ ، وشغل مرور ، وبوسطة حتى الساعة ٣٠ يشمل ذلك الكتب ثم الغذاء ، وبعد ذلك حتى الغروب تكملة الاعم مطلوبة ، والنوم الساعة ٠٠ ٢١ ٠

● السبت ٢٤ يوليو ١٩٤٨

ابتدأ الملل يسري في دمائنا ٠٠ الحالة اليوميه متكررة ٠٠ الواحد بدأ يقرف من كل شيء ولا يتحمل شيء ٠

● الاحد ٢٥ يوليو ١٩٤٨

مرور (.....) على الخط الدفاعي الذي لم يمر عليه مطلقا قبل الان الا مع الملك ، يمر عليه الان بعد انتهاء القتال ٠٠ كان في منتهى السماجة والغرور والجهل ، كل ملاحظاته تقريبا غلط ٠٠ الرجل نسي نفسه وركبه الغرور ، كان بيقول « مبادىء مائة سنة هدمتوها » ويتكلم في النقط الهايفة ، ولم يرتد ثوب القائد الذي يكلم جنوده بعد معارك اصيبوا فيها بخسائر جسيمة وصمدوا ٠٠ كلمني عبد الحكيم وانا امر مع المواوي فلم يجدني ، وقال انه سيتكلم في المساء ٠٠ لم استطع ان اتكلم مع المنزل ٠٠ اتصل بي عبد الحكيم الساعة ٣٠ ٢٠ ، ولكن لم استطع الكلام معه الا الساعة ٠٠ ١ ٠٠ وكلمني حمدي عاشور ٠

● الاثنين ٢٣ اغسطس ١٩٤٨

علمت اليوم خبرا لم اصدقه لاول وهلة ، ان احمد عبد العزيز قتل امس عند عودته من بيت لحم ، وتفصيل الامر ان احمد عبد العزيز وصلاح سالم والورداني عادوا بعد مؤتمر العرب واليهود بالقدس لمقابلة المواوي ، وعندما اقتربوا من عراق المنشية الساعة ٠٠ ٢٠ ، فتحت عليهم

نيران من المواقع المصرية ، فكان احمد عبد العزيز هو الضحية ، ولقواتنا بعض العذر ، فان اليهود يخرقون الهدنة يوميا في هذا المكان محاولين العبور الى المستعمرات الجنوبية .. وقد تألمت جدا ، فان احمد عبد العزيز كان يحب ابناءه ، وكان في عز مجده الذي لم يجازى عليه ، ولم يره الشعب ولم يستقبله .. مات احمد عبد العزيز وكله امل في الحياة .. لقد تألمت جدا لهذه الامال التي انهارت .. كان آخر ما قاله لصلاح سالم .

● الاحد ١٢ سبتمبر ١٩٤٨

الحمد لله ، دخلت في حقل الغام بنوع الخطأ ، فبعد استكشاف عراق الخراب مع عبد الفتاح فؤاد وعبد العزيز كامل ، طلب السير في طريق غزة / بير سبع ، وقد عارضت لاني اعرف ان في هذا الطريق الغام ، ولكنه صمم على السير ، ووجدت فجأة ان العربة وسط الالغام الموجودة خلف عراق الامير ، ومنسوف فيها لغمين ، وآثار عربات اليهود حولنا .. وخرجنا بعون الله .. ذهبت الى المجدل لاكلم تحية .. كلمتها الساعة .. ١٧ ، وقابلت عبد الحكيم ، وفي العودة اصطدمت بعربة من الكتيبة ، ولكن الله سلم ، كنت مسرعا حتى اصل بيت جبرين قبل الساعة .. ١٨ ، وقد وصلت الساعة .. ١٨ والحمد لله .

● السبت ٢ اكتوبر ١٩٤٨

حضر قائد اللواء ، قام جمال بشارة الى المجحز ، ووجد ان العرب مثلوا بالقتلى اليهود .. قام بدفنهم .. واحضر بعض الالغام وجوابات القتلى .. احضرت فصيلة الحمالات الاسلحة الآتية من اليهود : مدافع هاون ٣ بالقاعدة الجديدة ، مدافع هاون ٢ بالقاعدة الجديدة ، مدافع بيات وقنابل كثيرة ، واحضروا مأكولات وسجاير وعلب بيرة ، وقد اخذنا الاسلحة واعطيناهم المأكولات والسجاير وكانت هذه المعركة سببا كبيرا في رفع الروح المعنوية .. اصبحت روح عساكر فصيلة الحمالات عالية جدا ، لقد التحموا مع اليهود وجها لوجه ، وانتصروا بدون خسائر .. كان حسن التهامي وفائز زاكر موجودين لحماية الجنب الايمن ، وقال الجميع انها ابسط عملية الان .. كان الهاون ٤,٢ عظيما جدا ، ضرب مواقع العدو من مسافة ٣١٠٠ ياردة ، وكان العدو يستعمل هاوناته ومدافع « لافاييت » ولكنها لا تصله ، كانت جماعة امدافع الماكينة

ومعها الحديدي تضرب على مسافة ٢٠٠٠ ياردة ، وكان ضربها مؤثرا جدا ... بعد المعركة وجدت خوذات العدو بكل منها دفعة .. كان لطفي واكد من اسباب نجاح المعركة ، فعندما علم باحتلال المجحز قام ومعه المناضلين واشتبك مع العدو ومنعه من عمل اي تحصينات ، فلم تقام اسلاك ولم توضع الغام .

● **الاحد ٣ أكتوبر ١٩٤٨ .**

حضر بعض العرب وقالوا ان اليهود استولوا على المجحز مرة أخرى وطردوا المناضلين ، وبلغنا اللواء الرابع فقال انها مسؤولية لواء المتطوعين .. بلغنا لواء المتطوعين فقال انها مسؤولية الكتيبة ... اعطيت للعرب صندوقين ذخيرة وطلبت منهم عدم تمكين اليهود من عمل أسلاك ، فانا اعرف ان تأخير الهجوم سيفيد اليهود في عمل تحصينات ... اعرف أيضاً انه لا بد وسيصدر أمر من أي شخص بعد مدة من التردد ، للاستيلاء على البلد ... المواوي في بيت لحم ... نعمة الله ملخوم مش عارف يعمل أيه ، مضى اليوم بدون أي تصرف .

● **السبت ١٦ أكتوبر ١٩٤٨**

الساعة ٢٠٣٠ أمس اتصل الشاهد بك من خربة الامير وقال انه يسمع حركة ، فطلبت منه ان يعمل على ارسال دورية استكشاف ... عادت وقالت ان العدو يحاول احتلال خربة عطا الله والتبة جنوب الطريق ، فطلبت منه ارسال دورية قتال وازعاجه بالهاون ، واستمرت المناوشة طول الليل ، وفي الساعة ٤,٣٠ اتصلت بعبد الفتاح فؤاد وبلغته ، فطلب طرده ... في الساعة ٥٠٠ وكل شيء هادىء في عراق المنشية فوجئنا بنيران هاون شديدة ، تجمعات من جات على البلدة ، وكان الضرب في انحاء البلدة حتى اصبح وكأنها في ضباب . وفي الساعة ٥٣٠ اتصل بي حسن عثمان وقال ان اليهود يهجمون من جهة المدرسة وان معهم دبابات ثقيلة ... عملت على سحب المدفع ٦ رطل الموجود في الجبهة الشرقية وارساله للجبهة الغربية حتى يكون هناك مدفعين ... وفي الساعة ٥٥٠ اتصلت باركان حرب اللواء ، فقال أنه سيكلم اركان حرب الكتيبة ١ لارسال سرية ... اتصلت الكتيبة ١ فقال انها ستصل بعد ساعة ... اتصل

بي حسن عثمان وقال ان دبابات العدو اقتحمت الفصيلة التي بها المدرسة ، وان العدو دخل عراق المنشية ... طلبت السرية ٢ السودانية ، وطلبت ان يقوموا بهجوم مضاد ... حسن عثمان بلغني ان المدفعين ٦ رطل عطلوا .. طلبت ابو سبع وطلبت منه ان يرسل حمالات لحمل - هجوم مضاد ومعها أكبر عدد من « البيات » لاستعماله ... توجهت السرية السودانية فبلغني الضابط ان بشير توجه الى المدرسة ... توجهت للحملة وطلبت اخراج كل عسكري للدفاع ... كان العدو داخل عراق المنشية ... دبابة من دباباته شرق المدرسة ... عدت من عند السودانية فوجدت ان بشير الامير قائد السودانية والحمالات استطاعوا طرد العدو وتعطيل ٣ دبابات ، اثنين بالالغام وواحدة ضربها عبد الخالق شوقي بعد ان اقتحمت المواقع ، وكان قتلى العدو كثيرين ، وكانت الدبابة الثانية على السلك ، والدبابة الثالثة على بعد الف ياردة ... ستر العدو انسحابه بالدخان ونيران شديدة ، وفي الساعة ٩٠٠ عاود الهجوم مرة أخرى ، ولكن ضرب عليه بالهاون فانسحب ... ذخيرة الهاون ٤,٢ قربت من النفاذ .. طلبنا ذخيرة .. استعملنا الطريق الخلفي .. طلبت من أبو زيد قائد سرية ٥ سودانية مساعدة خربة الامير ، وكذلك من الفيومي طلبنا ٦ رطل . وصل اثنان الساعة ١٣٠٠ ، وبعد ذلك بخمس دقائق حصل الهجوم الثالث لسحب الدبابات المعطلة ، ولكن انسحبوا وتركوا ثلاثة دبابات أخرى في الخور ، حرقها الهاون ، وبلغتنا دورياتنا الليلية بذلك ... قام الطيران اثناء الهجوم بضرب بمدافع الماكينة بعد الانسحاب ... ضربت عراق المنشية حوالي ٥٠٠ قنبلة ... كان يوم ١٦ رابع يوم العيد ، وكان عيدا حقا بعون الله ... هجوم العدو باثنتي عشرة دبابة ... ترك ٦ وسحب أثنتين عاطلتين ... قامت طائراتنا بضرب جات بالقنابل ... وصل خليل من الفالوجا بعد ان امضى ليلة هناك ... كان ذاهبا لاحضار بطاريات وتوصيل بطاريات للملء . . حصلت غارة على الفالوجا بمجرد وصوله . . تهشمت العربة .. مات الشاويش جرجس ... تكسرت البطاريات .. ضربت جات علينا قنابل هاون كما ضربناها بالطائرات ... سحبنا دبابة من دبابات العدو المعطلة بواسطة عربة النجدة الثقيلة .. الدبابة مكتوب عليها (ج - ١١ عوتشيكوس)

مسلحة بمدفع ٢ رطل ومدفع هوتشيكوس ، بها كرسيين ، سمكها أكثر من بوصة ... هذه الدبابة كانت دخلت البلدة وضربها عبد الخالق شوقي « بالبيات » في الجنزير الشمال ، فقطع الجنزير ، وكان الضرب على مسافة ٥ يارد منها ، وقد رمى طاقم الدبابة مولدا دخان ونزل منها ، ولكن مدافع الماكينة قتلته ... القتلى اليهود منثورين أمام السلك ... عددهم كبير ... خرجت دوريات لاحضار اسلحتهم ... نقض اليهود الهدنة بعد استكمال التسليح ، وقد قاموا بهجوم عام ، فبدأ أول نقض للهدنة عندنا في عراق المنشية يوم السبت ١٦ ، استعملوا مدفعية شديدة ، تجمعات ، سقطت قنابل لاحصر لها ، واستعملوا الدبابات ، ثم استعملوا الطائرات ذات الاربع محركات ... كانت الغارة الجوية أثناء الليل ... الآن ٧,٤٥ ضربت الطائرات الفالوجا ... كان استعمال الدبابات في هجوم السبت على عراق المنشية مضافا لخرق الهدنة أكبر مفاجأة في هذه الحرب ، عندما بلغني ضابط الموقع الذي هوجم ان اليهود يهجمون ومعهم دبابات ثقيلة ، لم أصدق ، ولكن عاد وقال ان الدبابات اخترقت الموقع ، وعند ذلك صدقت ... لاول مرة استعمل اليهود دبابات .. احضرنا ثلاثة اجهزة لاسلكي في دبابات العدو ، واخذنا أسلحة كثيرة من القتلى : مدافع « استل » و « هوتشيكوس » ومدافع « بيات » وبنادق .. استعملنا الاجهزة اللاسلكية ١٩ ماركة ٢ .. ارسلت المنياوي مع الحمالات لاستكشاف طريق خلفي للكتيبة عن طريق السكرية وابو طور ... بلغني أبو زيد الساعة الواحدة ان اليهود استولوا على خربة حامد ، فطلبت منه ان يبقى في هذا الموقع بأي حال ... في الساعة ١١٠٠ بلغني أنه عاد وترك الموقع ... عاد المنياوي وأخبرني أنه استكشف طريق آمن ، واتفقت مع السيد بك طه على ترحيل الجرحى من هذا الطريق الى مستشفى الخليل .. الجرحى بالفالوجا كثيرين نتيجة للغارات الجوية ، والجرحى عندنا لا يمكن اخلاؤهم ، وذلك بعد اخلاء جرحى يوم السبت نظرا لقطع الطريق .. ان حالة الجرحى مؤلمة ... فالدكتور لا حول له ولا قوة ... حصلت أمس حالة مصران أعور وكان لا يمكن التصرف فيها ... وفي الظهر ابلغ الدكتور ان المصران انفجر ، وفي المساء قال انه توفي ... قامت جات

بضربنا بالهاون .. لا يمكن الرد عليها لأننا في حاجة الى القنابل .. طلب أبو زيد ذخيرة ... ارسلت له خمس صناديق .. الباقي خمسة عشر صندوقاً فقط .. اتصلت بالفيومي وطلبت منه ان يرسل تعيينات لنا ، فقال انه سيتصل بالخليل لطلب تعيينات على ان ترسل لنا باكرا ، وطلب ذخيرة فقال أنه سيحاول ... علمت ان اليهود استولوا على التقاطع وكوكبة وان الرياسة نقلت الى غزة وان العدو هاجم عراق سويدان ، والمواقع أمام كراتيا ، واصبنا بخسائر جسيمة ، وقام العدو بضرب البلد بالطيران في المساء ولكن سقطت خارج البلد ..

كان قد طلبنا القائد الى مؤتمر في الفالوجا ، فذهبت معه واجتمعنا السيد طه واركان حربه ، واحمد توفيق واركان حربه وحسين كامل واركان حربه ، وتكلمنا في أمر الانسحاب ، الامر ينفذ الساعة ٣٠ ،١٨ ، وكان امر انذاري فقط ... كلفني السيد بك طه بكتابة أمر انسحاب بعد ان اختلف مع أحمد توفيق على طريقة انسحاب الكتيبة .. جهزت أمر الانسحاب مع الفسخاني ... صدر أمر بالغاء أمر الانسحاب ، وان الحالة ستتحسن وان أمر القتال سيصدر في مصلحتنا ... عادت الاجازات عن طريق غزة / بير سبع / الخليل / داويمة ... عندما صدر الامر بالانسحاب انتابتني افكار عدة ، فان انسحابنا سيعرض جميع السكان من عراق سويدان حتى بيت جبرين الى التشرد او الوقوع في قبضة اليهود ... تصورت منظر الاطفال والنساء والعائلات عند انسحابنا ، وكيف سيحتل اليهود عراق المنشية والفالوجا الى آخره ، وكيف اذا استمرت الحرب سنحاول استعادة هذه البلاد التي حصناها ، عراق المنشية مثلاً التي وقفت أمام دبابات العدو وجموعه ، كل ذلك سيستولي عليه اليهود ، وسيكون من العسير بل من المحال استرجاعها ... ومن ناحية أخرى فان وجود ثلاث كتائب معها اسلحة مساعدة في هذا الوضع يدعو الى التفكير ... لقد كان الغرض من وجودنا فصل الشمال عن الجنوب ، والآن اتصل الشمال بالجنوب ، ووجود هذا اللواء في الخليل يمكن ان يغير في مجرى الامور هناك .

● **الاربعاء ٢٧ اكتوبر ١٩٤٨ :**

طلبني السيد بك طه وقال انه وصلته اشارة باحتلال بيت جبرين ، وكان هذا الخبر من الاسباب التي تؤكد ان القيادة تتخبط ، لقد اخطرناهم ان الطريق الى بيت جبرين محتل بالعدو ، ولا توجد ذخيرة من يوم ١٦ الجاري ، منذ عشرة ايام ، ولكن بالرغم من ذلك يتجاهلون ويصدرون أوامر ... هذه القيادة الهزيلة هي التي تسبب في كل هذه المصاعب ، والحقيقة انه لا توجد قيادة للجيش المصري في فلسطين .. نفس التقاليد العتيقة ، نفس المظاهر والتمثيل بدون انتاج .. لقد كون اليهود جيشا به دبابات ، وقوة دافعة في اربعة اشهر ، واستطاعوا ان يقطعوا أوصال الجيش المصري ويعزلوه في جيوب متفرقة ، ويقطعوا خطوط مواصلاته في عملية استغرقت ثلاثة ايام ... لقد ضربوا النقطة الضعيفة ونفذوا منها الى الخلف ، وقطعوا خطوط المواصلات ، أما قيادتنا فعاجزة كل العجز .. لا يوجد عسكري واحد احتياط ليستعيدوا به الموقف ، ففكروا في شيء واحد وهو الهرب والنجاة بانفسهم .. كان المواوي عاجزاً فانه قائد بدون جنود وبدون جيش ... اللواء الثاني منعزل في أسدود ، واللواء الرابع منعزل في النقب ، واللواء الجديد في مصر منذ خمسة اشهر ، وهو كل ما فكر فيه قيادتنا ، لم يكتمل تدريبه ... أما اليهود فقد كونوا سلاح طيران سيطر على الجو طول مدة العمليات ... قادتنا المنافقون يصدرون بلاغات كاذبة ، فقد استولى اليهود على بئر سبع فعلاً رغم تكذيب النقراشي .. وصلنا في مدة الهدنة بعض المدافع « الفيكرز » والهاون ، في الوقت الذي كون اليهود فيه سلاح الطيران والدبابات .

● **الخميس ٢٨ اكتوبر ١٩٤٨ :**

حلقت طائرات الساعة ٦٠٠ والقت منشورات تطلب منا التسليم وتشرح موقفنا جيداً باسماء الوحدات ... طبعا كلام فارغ ... قابله الجميع بالسخرية ، فبالرغم من أننا محاصرون من يوم ١٦ ، وبالرغم من طلبنا التعيينات والذخيرة بواسطة الطيران ، وبالرغم من ان طلباتنا لم تجاب ولم يلتفت اليها ، فسنقاوم الى آخر رجل ، لقد فقدنا الايمان في قيادة الجيش وقيادة البلاد ، هؤلاء المضللون المثلون ، ماذا عملوا بعد ان دخلنا الحرب . لا شيء .. لم تصل اي امدادات .. الاسلحة التي دخلنا

بها هي هي ... ان اليهود افضل بالاف المرات ، فبعد ان كانوا يدافعون عن انفسهم ببنادق الرش أصبحوا قوة كبرى بها طيارون ودبابات ومشاة مجهزة بالهاون ومعها مدفعية ثقيلة .. عندما كان اليهود محاصرين قبل يوم ١٦ الجاري كانت طائراتهم في الجو باستمرار لتمويلهم ... اين سلاحنا الجوي ٠ لقد اختفى ٠

● **الاحد ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ :**

القائد اليهودي يحضر في عربة عليها علم أبيض ... ذهبت لمقابلته ... طلب منا التسليم ... نرفض ... يطلب منا التسليم ... نرفض ... يطلب أخذ جثث قتلاه ٠

● **الاحد ١٤ نوفمبر ١٩٤٨ :**

استمر العدو يطلق مدفعيته وهاوناته طول الليل ، وفي الساعة ١١٠٠ وصلت عربة عليها بيرق ابيض ، وبلغنا الضابط اليهودي أنه مستعد لاعطائنا ادوية واخذ الجرحى الى مستشفياتهم على ان يكونوا اسرى حرب .. وافق القائد على اخذ الادوية ، ولكن قال انه مصمم على اخلاء الجرحى بواسطة الصليب الاحمر الى خطوطنا ، واتفقنا على ان نتصل الساعة ١٩٠٠ باللاسلكي مع اليهود لاخذ الرد بعد ان استلموا كشف الادوية ... المطر مستمر .. وقد تقابلت مع الضباط اليهود تحت الامطار وتكلمنا في مواضيع عامة ٠ فقال انه يرجو ان لا نكون متعبين من المطر ... وسأل هل بمصر الان مطر بهذا الشكل ٠ وقال انه يرجو ان يسود السلام ، وان نرجع سالمين ، وتكلم فقال ان بريطانيا هي التي زجت بنا لتحقيق اغراضها وانهم قد تمكنوا من طرد الانكليز من فلسطين ، ويرجون ان نطردهم كذلك وان نتعارف سويا ... ما زال الضرب كالعادة ٠

● **الاثنين ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ :**

الضرب مستمر كالعادة، وقفت الامطار لكن الجو بارد ... لا يزال العدو يتخذ مواقع في الجنوب في الوحيدات والخطاطبة وشمال الفطاطة واصبح قريبا جدا ومشرفا على عراق المنشية ، وجعلها تحت نيران الاسلحة الصغيرة ... طلبت من السيد طه ضرب مواقع العدو بالمدفعية وقنابل انفجار جوي ، ولكنه رفض والفسخاني ... ولن يبدأ الضرب ٠

ولكن التجربة اثبتت ان العدو بعدما يتخذ مواقع دفاعية كاملة سيبدأ في فتح النيران وان العدو حاول عدة مرات اتخاذ مواقع في الفطاطة ولكن لما ضرب بالهاون ٤,٢ انسحب ، والآن لا يمكن استعمال الهاون لأن الذخيرة اصبحت لا تحتمل ذلك ... ولكن لم يستمع احد منهم لهذا الكلام ... ان اعصابهم جميعا مضطربة ، وللآن لم يتفهموا صفات العدو الذي نقاتله ... لا يحتفظ بالعهد ، كل غرضه هو تكبيدنا اي خسائر ممكنة ما دام الحكام غير موجودين ... اما نحن فلا زلنا نتمحك في ايقاف القتال حتى يبدأ اليهود في السيطرة على الموقف .. في الساعة ١٣ اتصل بي السودانية ، وكنت نائما ، وفوجئت بصلاح سالم يتكلم ويقول « انا صلاح سالم يا جمال جيت لكم من غزة ، » وقد فوجئت بذلك ، وقال انه سيحضر مع احد السودانية ، ووصل مستندا بمعرفة عسكريين من السودانية وكان في حالة يرثى لها ، ملابسه ممزقة وكلها طين وقواه خائرة جدا ، وبعد ان استراح واخذ كوبا من الشاي ، قال انه خرج من غزة امس الساعة ١٦٠٠ ومعه زكريا محي الدين وثلاثة عرب ادلاء . وثلاثة بغال محملة بالذخيرة والادوية ومبلغ مائتي جنيه ، ومع زكريا مبلغ مائتي جنيه ، وان الادلاء قالوا ان المسافة تقطع في ست ساعات ، ولكنهم استمروا طول الليل تحت الامطار يتسللون بين خطوط الاعداء حتى طلع النهار فاختبأوا في بيت ... وكان البرد فظيعا فدفنوا انفسهم تحت التبن ، وكان المشوار متعبا جدا ، فأن الحمولة وقعت من البغال عدة مرات ، وكانوا يحملونها ، وقابلوا دوريات يهودية مرات كثيرة في الطريق ، فكانوا يختبئون في مجال السيول ، وكانوا يكممون افواه البغال لمنع صوتها ، ونفذت المياه التي معهم ، وقاسوا كثيرا من العطش ، واستطاعوا بصعوبة - بعد فك الحبال التي على البغال - ان يستخرجوا قليلا من الماء من احد الآبار وفي وعاء فخاري قذر ، وشربوا وعندما انتهى النهار بدأوا في السير باتجاه عراق المنشية ... وحوالي الساعة ٢٢٠٠ فوجئوا بالنيران تطلق عليهم والعدو يشعر بهم ، ويخرج بعرباته في اتجاههم ، فجرى زكريا والعرب في اتجاه الشمال ، اما صلاح فقد خارت قواه من التعب وسقط مكانه ، وعثر اليهود على البغال وانشغلوا بها ، واخذ صلاح يزحف في اتجاه الشمال حيث تيقن انهم لم يلتفتوا اليه ، وفوجىء عندما رأى تبة عراق المنشية وعادت له الحياة ، فاخذ يزحف حتى وصل للاسلاك ، وعندما مر من تحت اول سياج ووصل

للسياج الثاني فتحت عليه نيران البنادق من خطوطنا فثبت في الارض وصاح انه ضابط مصري من غزة . فحضر اليه احد السودانية واحضره ، وكان في شدة الانشغال على زكريا ويعتقد انه مسك ، ونام معنا ، وكانت القنابل تتساقط طول الليل والطائرات تغير علينا وعلى الفالوجا ... وفي الساعة ١١٠٠ عرفنا ان زكريا وصل الى الفالوجا فتوجهت مع صلاح ، وقد اطلق علينا العدو مدافع الماكينة في طريقنا للعربة ، ونفذنا باعجوبة ، وعرفت ان زكريا امضى الليل في البئر الغربي من مواقعنا ، ووصل العدو الى البئر الغربي بعراق المنشية ، ولكنه طرد من هناك ... عراق المنشية مكتسحة بنيران الاسلحة الصغيرة اليهودية .

● **الاحد ٥ ديسمبر ١٩٤٨.**

وصل جواب من العم يقول ان تحية معتكفة بالمنزل ، لا تخرج ، وانهم بخير ... لقد تألمت جدا ... فلا يشغلني شيء الا هي والاولاد ، فأن حياتي ليست لها اي قيمة الا لاجلهم .

● **الاحد ١٢ ديسمبر ١٩٤٨**

اكلت اليوم « كوسة » (لأول مرة منذ ١٦ اكتوبر ١٩٤٨) ولا اعرف كيف عثروا عليها ... وصلت اشارة من نائب رئيس ادارة الجيش في الميدان يسأل « هل ارغب في تحويل جزء من مرتبي ، ولمن . » فهل معنى ذلك ان التحويل الذي ارسلته لم ينفذ ...

اذاع راديو اسرائيل ان اليهود سيعينون مندوبا من طرفهم للتباحث مع كبير المراقبين في الهدنة الدائمة مع مصر ، وسحب القوات في الفالوجا ... مطر طول الليل غزير ، وكذلك طول النهار ... الارض عبارة عن اوحال ... الشمس لم تظهر .

● **الجمعة ١٧ ديسمبر ١٩٤٨**

اصيبت امرأة برصاصة في بطنها ، وقد عمل لها الدكتور صفوت عملية استغرقت اربع ساعات في ظروف عجيبة غير مناسبة ، ووجد ان المصارين فيها ١٦ خرم ، ولكنها توفت في الصباح بعد نجاح العملية ، نتيجة اهمال التمرجي الذي لم يبلغ الدكتور ان حالتها ساءت ، اذ انه انتظر وبلغه انها توفت .

● **الاربعاء ١٢ يناير ١٩٤٨**

عيد ميلاد هدى .

● **السبت ١٥ يناير ١٩٤٩**

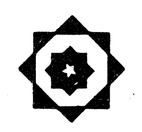
وصول السيد بك طه ··· مقابلة كوهين بخصوص القتلى والصلاة عليهم ··· طلبنا منه المقابلة باكرا للرد ·

● **الاحد ١٦ يناير ١٩٤٩**

وصول كوهين الساعة ١٧٠٠ ، الرد بالموافقة ··· قابلت الاسرى ··· اخذت منهم جوابات لاهلهم ، واعطيتها لكوهين ، وقد احضر معه علبة شيكولاته لهم ·

● **الاثنين ١٧ يناير ١٩٤٩**

وصول اثنين قس الى عراق المنشية الساعة ١١٠٠ ، صلوا على القتلى ··· سيحضر كوهين باكرا الساعة ١٢٠٠ لاحضار ملبوسات للاسرى ··· احضر لهم معه شوال برتقال ·



الجزء الرابع

القسم الأول

الحاضر والمستقبل
عروبة عبد الناصر - عن طريق فلسطين



بلباس الاحرام مع محمد حسنين هيكل

عن طريق فلسطين وعلى ارضها ومن خلال تجربتها المشجونة ـ استطاع جمال عبد الناصر ـ فيما اعتقد ـ ان يصل الى رؤية قومية شاملة اثرت في فكره وفي حركته وفي اتجاهه الى اهداف يؤمن بسلامتها وضرورتها لامة تعددت شعوبها ولكنها تظل بالنسبة له امة واحدة ·

وعندما استعملت تعبير « عن طريق فلسطين » في اول سطر من هذا الفصل ـ فان التعبير كان مقصودا بمعناه الحرفي ـ وليس المجازي ـ ذلك ان جمال عبد الناصر عرف فلسطين قبل ان يمشي خطوة واحدة على ترابها ·

واظن ان جمال عبد الناصر كان في صباه ـ شأنه في ذلك شأن جيله كله ـ مشدودا الى الحركة الوطنية في حدودها التقليدية ، وكانت بداية وعيه العام مظاهرات الطلبة سنة ١٩٣٥ ، وهي المظاهرات التي حاول الشباب من خلالها ان يفرض على زعماء مصر وقادة احزابها ان ينضموا الى جبهة وطنية واحدة تتولى المفاوضات مع الانكليز من اجل تحقيق الجلاء ·

وفي خضم هذه المظاهرات التي اشترك فيها جمال عبد الناصر ـ وعمره سبعة عشر سنة ـ كان اندفاعه ملفتا للنظر ، فقد بدأ وكانه متسابق يقفز الحواجز كلها في خط واحد متصل ·

سار في المظاهرات لاول مرة ·

ورفع على الاكتاف يهتف ويردد الآخرون وراءه ـ لاول مرة ·

واصيب بجرح ـ اثناء عمل وطني عام ـ لاول مرة ·

وقبض عليه البوليس ـ لاول مرة ·

ونشر اسمه في الصحف ـ ضمن الطلبة المقبوض عليهم · لاول مرة ·

وظهرت صورته ـ ضمن حشد من الطلبة التف حول مصطفى النحاس ـ لاول مرة ·

اي انه في خلال اسبوعين اثنين ـ تقريبا ـ قام بدورة كاملة شاهد خلالها ـ وجرب ـ كل الوان وانواع النشاط السياسي باشكاله المعروفة في ذلك الوقت ·

وحين انحسر تيار حركة الشباب ، لان شيوخ السياسة والاحزاب اخذوا الموقف في ايديهم وشكلوا جبهة وطنية لم تستطع ان تفعل شيئا سوى التوقيع على معاهدة سنة ١٩٣٦ ـ فان جمال عبد الناصر شأنه شأن

غيره من الشباب في ذلك الوقت احس بالمرارة في حلقه ، ولم يجد منفذا لطاقاته الا الانهماك لبعض الوقت في نشاط جمعية مصر الفتاة ، ولكنها فترة قليلة ، ثم اكتشف جمال عبد الناصر ان الامل الوطني ليس في القمصان الخضراء ، ولا في تقليد مشية الاوزة ، ولا في اقتفاء خطوات هتلر وموسوليني ·

•

ودخل جمال عبد الناصر الى الكلية الحربية سنة ١٩٣٧ ، وهناك شده التاريخ العسكري ، وهو موضوع بلغ عدد الكتب التي استعارها ـ فيه خلال السنة الاولى للدراسة سواء من مكتبة الكلية العسكرية او من دار الكتب المصرية : اثنين وثلاثون كتابا ، وكان معظمها حول التاريخ العسكري للشرق الاوسط ·

واعتقد انه من خلال التاريخ العسكري ـ وصل جمال عبد الناصر الى طريق فلسطين ·

فقد لاحظ ان صراعات العصر القديم ـ معظمها ـ دارت بين الشعوب التي تسكن اودية الانهار العظيمة في المنطقة ، اي ما بين النهرين ـ دجلة والفرات ـ من ناحية ـ ونهر النيل من الناحية الاخرى ـ وكانت ارض الصراع هي الصحارى والواحات التي تمتد على الطريق الذي يربط ويفصل ما بين هذه الاودية الكبيرة التي نشأت فيها الحضارات ·

وفي الحقيقة في سوريا ـ من جبال طوروس الى صحراء سيناء ـ كانت ذلك الممر الذي شهد اهم صراعات التاريخ القديم ·

وفي التاريخ الوسيط لعبت سوريا نفس الدور في الصراع ما بين المسيحية والاسلام الذي تحركت عواصمه السياسية من المدينة الى الكوفة الى دمشق الى بغداد ثم الى القاهرة ·

ومن جطين ـ صلاح الدين ـ الى مرج دابق ـ السلطان الغوري ـ كان جنوب سوريا ـ فلسطين ـ هو ساحة المعارك الحاسمة في تاريخ المنطقة ·

وفي العصر الحديث لم تختلف الصورة ، والواقع ان التصورات الاستراتيجية لدى ابراهيم باشا ـ قائد جيوش والده محمد علي الكبير ـ لم تختلف كثيرا عن التصورات الاستراتيجية لتحوتموس الثالث الذي سبقه باكثر من ثلاثة الاف سنة ·

وهكذا فان سوريا بدأت تحتل مكانا هاما في فكر جمال عبد الناصر ٠

وفي اطار سوريا فان الجنوب ـ اي فلسطين ـ اصبحت له حساسية خاصة ، فقد كان هو الجسر المباشر من مصر الى الشام ، ثم انه عنق الزجاجة في المنطقة ما بين البحرين الابيض والاحمر ٠

وحتى ذلك الوقت فاني اعتقد ان فكر جمال عبد الناصر كان فكرا استراتيجيا تحركه الوطنية المصرية التقليدية اكثر من اي شيء آخر ٠

ثم اهتم جمال عبد الناصر في اطار دراسته ـ بالماريشال اللنبي ومعاركه في فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى ، وقد قرأ بامعان شديد دراسات « ويفل » الذي اصبح هو نفسه ـ فيما بعد ـ ماريشالا في الحرب العالمية الثانية ـ عن حملة اللنبي في فلسطين ٠

ولم يفتر اهتمامه باللنبي ، واتذكر انني اعرته في صيف سنة ١٩٧٠ نسخة من كتاب « بريان جاردنر » عن اللنبي ، وقد اخذه معه الى مرسي مطروح حين قصدها لاجازة اخيرة لم يقدر لها ان تكتمل ، فقد قطعها لكي يعود لمواجهة ازمة العمل الفدائي الفلسطيني في عمان ، وهي الازمة التي وصل الى حل لها في مؤتمر القمة المشهور في القاهرة ، وكان آخر يوم في هذا المؤتمر هو آخر يوم في حياته ٠

ومن محصلة ما قرأ ، ومن اهتمامه المكثف بالمعارك التي دارت على الجسر السوري الواسع شمالا وجنوبا ، ومن تركيزه على حملة اللنبي في فلسطين ـ خرج جمال عبد الناصر بمجموعة من القناعات الاستراتيجية الاساسية :

١ ـ ان حركة مصر التاريخية تتجه نحو الشرق ٠

٢ ـ ان الدفاع عن مصر يرتكز على الشام ، وبالتحديد فقد كان يعتقد ان خط غزة / بير سبع هو الخط الاخير للدفاع عن مصر ، وبعده فليس هناك الا خط المضايق ، وهو خط يدافع عن قناة السويس والقاهرة ٠

٣ ـ ان هناك تشابكا في قضية الامن بين مصر وسوريا بصفة عامة ، وفلسطين بصفة مركزة ٠

وتحول النشاط في قضية الامن الى احساس بوحدة الامن ، ثم الى احساس بوحدة المصير ، ولكن الضرورات الاستراتيجية كانت هي

التي تحكم فكره حتى هذا الوقت قبل الانتماء القومي والاحساس العميق بالتزاماته ٠

•

وبعد عودته من خدمة سنتين في السودان ، راح جمال عبد الناصر يتابع ما يجري في منطقة الشرق الاوسط ، ويتأمل معنى ما يجري على ارضها ٠

ولفت نظره في ذلك الوقت امران :

اولهما ان بريطانيا اعتبرت المنطقة كلها من العراق شرقا الى ليبيا غربا والى السودان جنوبا وحدة سياسية واحدة يشرف على توجيه امورها وزير بريطاني مقيم في القاهرة ٠

وثانيهما دعوة انتوني ايدن وزير خارجية بريطانيا الى انشاء جامعة للدول العربية ، وكان ايدن بذلك لا يخترع حقيقة تاريخية ولكنه يستجيب لحقيقة تاريخية ٠

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ جمال عبد الناصر يتجه بقلق نحو فلسطين ، وكانت قوافل الهجرة اليهودية من اوروبا شرقا وغربا تتدفق عليها ، وكانت الاستعدادات لاقامة دولة يهودية فيها تجري على قدم وساق ، وكانت المقاومة العربية تحاول ان تجمع شتاتها لوقفة اخيرة حاسمة ٠

ونرى جمال عبد الناصر في هذه الفترة يطوف بالافاق كلها يبحث عن اجوبة لاسئلة راحت تلح عليه :

في هذه الفترة اتصل بعزيز المصري باشا يسمع منه ، وكانت التجربة لعزيز المصري حافلة ، وان بدت لكثير كتجربة « دون كيشوت » في محاربة طواحين الهواء ٠

وفي هذه الفترة اتصل بالشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين ، ولكن الفكرة العربية لدى الاخوان المسلمين كانت مختلطة باعتبارات اخرى ٠

وفي هذه الفترة ايضا اتصل بالحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ، ولكن المفتي لم تكن لديه رؤية استراتيجية واسعة ، وكانت المناورة تستهلك الكثير من جهده بدلا من السياسة ٠

ومع الشهور الاولى من سنة ١٩٤٨ نجد ان جمال عبد الناصر يفكر

جديا في التطوع للقتال في فلسطين ... ثم يقرر الانتظار ليؤدي امتحان اركان الحرب الذي اعد له طويلا ... ثم يسبقه القرار بدخول الجيش المصري الى فلسطين ، وهكذا لا تعود به حاجة الى التطوع ، فلقد اتاحت له الظروف فرصة الذهاب الى ميدان القتال مكلفا قبل ان يكون متطوعا .

وفي فلسطين يفتح جمال عبد الناصر عينيه ، ويفتح فكره ، ويفتح قلبه .

يحاول بكل طاقته ان يرى وان يفهم وان يستوعب :

١ - رأى نفسه وسط شعب لا يختلف كثيرا عن شعبه ، بل ان تاريخه وحياته تتصل عضوياً بتاريخ الشعب المصري وحياته .

٢ - ورأى نفسه يحارب عدوا لا يقتصر عداؤه على الشعب الفلسطيني وحده ، وانما يمتد عداؤه - بامتداد مطامعه - الى تهديد ما حول فلسطين شمالا وجنوبا .

٣ - بل انه رأى الدولة الصهيونية على حقيقتها ، وكما ارادها الذين اقاموها او شجعوا قيامها - « رأى جسر على الارض العربية ونقطة وثوب على شعوبها واسفنجة تمتص باستمرار جهود هذه الشعوب وحياتها » .

٤ - ورأى نفسه في فلسطين ومعه مقاتلين من ضباط وجنود معظمهم من الشعوب العربية ضباط وجنود من فلسطين ومن الاردن ومن سوريا ومن العراق ومن السعودية ، وكلهم يقاتلون من اجل هدف يقع خارج الحدود السياسية الضيقة لدولهم ، ولكنه مع ذلك هدف يعنيهم جميعا ويمسهم حتى دون ان يعود تماما عمق روابط الوحدة التي تجمع بينهم على هذا الهدف .

٥ - ورأى نفسه يمد بصره الى ما وراء ارض المعركة ، فيرى ان قوى الاستعمار التي تساعد الدولة اليهودية على تثبيت اقدامها في فلسطين ، هي نفس القوى التي تتحكم في القاهرة وفي بغداد وفي شبه الجزيرة العربية .

ولقد كانت الصدمة الفكرية التي الحت على جمال عبد الناصر بتساؤلات كثيرة بينما هو ذاهب الى فلسطين ، ان القطار الذي ركبه من القاهرة الى العريش مر عبر قناة السويس من وسط منطقة الاحتلال البريطاني فيها وباذن من هذه السلطات المحتلة . وسأل نفسه بالحاح وهو في طريقه بالقطار الى العريش :

- اين هو العدو بالضبط ... هل هو العدو الذي ينتظر امامه هناك

في فلسطين ، ام هو العدو الذي تركه قبل قليل هنا وراءه في منطقة قناة السويس .

ووصل جمال عبد الناصر الى قمة السلطة في مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو - ووصلت معه قناعاته .

وحين جاءت مفاوضات الجلاء ومحاولات بريطانيا والولايات المتحدة لاغرائه بفكرة الاحلاف العسكرية للدفاع عن الشرق الاوسط ، كان مستعدا - الى اعماق اعماقه - للرفض ، وكان قوله المشهور :

- هناك امن عربي مشترك ، وحله الوحيد هو نظام دفاعي عربي واحد ، تقيمه الامة العربية وتحمي نفسها به من اي اخطار تزحف اليها سواء من الشرق او من الغرب .

وكان القول بان هناك « امن عربي واحد » هو وجه واحد من الصورة ، واما الوجه الآخر فقد كان يقول :

- اذا كان هناك امن واحد ... اذن فان هناك مصلحة واحدة .

وبدأ وجدانه يتسع باتساع ارض الامة العربية كلها ... وكان العصر هو عصر الكيانات الكبرى ، وليس عصر الشظايا المبعثرة .

ولا بد ان اضيف للانصاف انه في هذه الفترة استفاد كثيرا من قراءاته لعدد من المفكرين القوميين العرب ، ابرزهم ساطع الحصري .

واتذكر انه كان قد قرأ بعض مؤلفات ساطع الحصري ، ثم طلب مني ان ابحث له عن مجموعة كاملة من مؤلفات ذلك المؤرخ المعلم .

وذهبت ازور ساطع الحصري ، وكان يقيم في فندق « لافينواز » وهو فندق صغير عتيق في شارع الانتيكخانة بوسط القاهرة .

وحملني ساطع الحصري مجموعة كاملة من اعماله مهداة لجمال عبد الناصر ، وكان المؤرخ العجوز يقدمها باهداء منه لجمال عبد الناصر ويقول لي :

- اخيرا وجدنا رجلا تتسع همته لآمال امته .

لكن المعلم الاعظم لجمال عبد الناصر كان هو الامة العربية نفسها .

ذلك ان حركة شعوبها كانت مصدر الهامه الكبير وكانت مرشده ودليله .

ولا اظنني اخطأت كثيرا حين كتبت في تلك الايام :

- ان جمال عبد الناصر لم يصنع الحركة القومية العربية ... وانما الحركة القومية العربية هي التي صنعت جمال عبد الناصر .

القسم الثاني

تصور جمال عبد الناصر محل الصراع العربي - الاسرائيلي

كانت لجمال عبد الناصر استراتيجية كاملة للمواجهة مع اسرائيل ·

وكان تقديره للموقف ـ اذا جاز لي ان استعمل اصطلاحا عسكريا جرى كثيرا على لسانه ـ على النحو التالي :

اولهما ـ ان الدولة الصهيونية في اسرائيل لا تقوم فقط على اساس اغتصاب جزء من وطن الامة العربية ـ في فلسطين ـ ولكنها تسعى باستمرار الى التوسع ، وتهدد باغتصاب اجزاء اخرى من وطن الامة العربية ·

ثم هي تعوق اتصال ارضها وتمنع بالتالي وحدتها ·

واذن فان هذه الدولة خطر حالي ومستقبلي ·

والخطر هنا ليس خطرا عارضا ـ كخطر الاستعمار التقليدي يجيء ويذهب ـ ولكنه خطر مقيم ينزع الارض ويطرد الشعب ، وهكذا فانه خطر لا يمكن المساومة ـ اي التفاوض ـ معه ·

ثانيا ـ ان هذه الدولة الصهيونية ليست مشروعا منفصلا بذاته ، ولكنه مشروع يرتبط ارتباطا عضويا باليهودية العالمية التي تتصور انها تستطيع ان تجد في فلسطين حلا للمسألة اليهودية ـ وفضلا عن ذلك فان المشروع الصهيوني في فلسطين يدخل في اطار خطة كاملة للسيطرة على ارض الامة العربية سياسيا وعسكريا واقتصاديا ·

على هذا الاساس فان اي مواجهة مع اسرائيل لا يمكن ان تدور في عزلة عن قوى عالمية تساندها وتسيطر على موارد من القوة هائلة ·

ثالثا ـ في مقابل ذلك فان العرب وجدوا انفسهم امام المشروع الصهيوني بينما هم كيانات ممزقة وضعيفة ، ومع انهم يملكون امكانيات للنمو كبيرة ، انسانية وجغرافية واقتصادية ، الا ان هذا النمو يحتاج الى

وقت قبل ان تعطي هذه الامكانيات العربية كامل مردودها بحيث تؤثر على موازين القوى في الصراع ·

وفي نفس الوقت فان العرب ليست لهم صداقات دولية تعطيهم قوة مضافة لتغطية فجوة الوقت اللازمة لنموهم الشامل ·

كانت هذه مقدمات تقدير الموقف في رأي جمال عبد الناصر ·

•

بمقتضى هذه المقدمات ، فقد كانت السبل المتاحة نظريا امام العرب كما يلي :

١ ـ قبول الامر الواقع ـ وهو مستحيل ·

٢ ـ الاحتكام الى السلاح فورا ـ والظروف القائمة لا تساعد عليه ·

٣ ـ قبول صراع طويل المدى وفق استراتيجية النفس الطويل ـ وهذا ممكن ، ولكن كيف ·

وفي البداية ـ اي عندما اصبح جمال عبد الناصر مسؤولا عن سياسة مصر ـ كان له في الاجابة على هذا السؤال اجتهاد وضعه للممارسة ، ولكن الظروف اثبتت ان هذا الاجتهاد « تبسيط » اكثر مما يجب لصراع معقد الى آخر درجة ·

كان اجتهاد جمال عبد الناصر ـ وقد سمعته منه في تلك الفترة وسمعه معي كثيرون ـ يجري على النحو التالي :

ـ ان اسرائيل في الواقع مشكلة داخلية بالنسبة لنا ·

ذلك ان قوتها الحقيقية هي في ضعفنا ·

والحل ان ننمي قوانا ، وحينئذ تستقيم الموازين ·

ان المشكلة هي في تخلف العرب ، وليست في تقدم اسرائيل ·

ولهذا ، فان مصر يجب ان تركز جهدها على التنمية ، على الانتاج والخدمات وساعتها فانها سوف تصنع القوة الشاملة القادرة على مواجهة اسرائيل ·

ومن هذا المنطق فان جمال عبد الناصر خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين من الجنيهات سنة ١٩٥٣ عما كانت عليه سنة ١٩٥٢ ـ واضيف الفارق الى اعتمادات التنمية في مصر ·

ثم افاق جمال عبد الناصر من اجابته « البسيطة » على السؤال المعقد ـ بالغارة على غزة في فبراير سنة ١٩٥٥ ·

ادرك ساعتها ان اسرائيل لن تتركه وشأنه ... يبني طاقة القوة الشاملة التي تمكنه يوما من مواجهة اسرائيل ·

اي انه حتى اذا تركها ... فانها هي - ومن جانبها - لن تتركه ·

سوف تمنعه حتى داخل حدوده الوطنية من بناء قوته ·

افاق جمال عبد الناصر ليقول :

- ان التركيز على بناء المصانع والمدارس ضروري ، ولكن اي فائدة من بناء المصانع والمدارس اذا كنا سنتحول الى شعب من اللاجئين يضطر الى الهرب في الصحراء بينما تحصل اسرائيل على مصانعه ومدارسه ·

●

هكذا عاد السؤال يفرض نفسه عليه :

- ليكن الصراع طويلا وفق استراتيجية النفس الطويل ، ولكن كيف ان الاجابة البسيطة عليه اثبتت عجزها ·

السؤال ضخم والاجابة عليه لا بد ان تكون بحجة ·

ولقد كان من اسباب فشل الاجابة البسيطة انها قصرت نفسها على حدود وطن عربي واحد ، في حين ان السؤال اوسع من حدود وطن عربي واحد ·

وهكذا بدأ جمال عبد الناصر يضع تصورات استراتيجية شاملة:

١ - يجب ان تكون هناك تنمية شاملة - اقتصادية واجتماعية وبالتالي سياسية - على اتساع العالم العربي كله، ويجب ان تتحرر الارادات الشعبية في اوطان الامة العربية لان قوى الشعب وحدها هي القادرة على الوصول بالتنمية الى مداها الشامل المطلوب·

٢ - لا بد من تخليص المنطقة من كل القيود الاستعمارية، فليس مقبولا ان تستسلم المنطقة للاستعمار القديم والجديد - وهو القوة الحقيقية المساندة لاسرائيل - ثم تتصور انها تستطيع مواجهة اسرائيل، فشأن من يفعل ذلك كشأن من يحارب الفرع وينسى الاصل·

٣ - يتعين على العرب ان يجدوا لانفسهم صداقات دولية توازن صداقات اسرائيل، ومع انه سيظل هناك دائما فارق بين حجم الدعم الذي تلقاه اسرائيل من صداقاتها الدولية وحجم الدعم الذي يلقاه العرب من اي صداقات دولية يحققونها لانفسهم - وذلك باختلاف طبيعة الصلات والارتباطات - الا ان الامر مع ذلك ضروري وحيوي·

وراح جمال عبد الناصر يطور تصوراته ويحركها ويحولها الى حركة تعي جيدا ان المشروع الصهيوني لا يمكن ملاقاته في منتصف الطريق، وهو على اي حال لن يجيء الى منتصف الطريق لان اي اعتراف منه بحق الشعب الفلسطيني في ارضه هو في نفس الوقت انكار لدعاوى الصهيونية «بحق» الشعب اليهودي في هذه الارض. واذا كانت مهمة تصفية المشروع الصهيوني في فلسطين بالغة الصعوبة بسبب موازين القوى المحلية والعالمية، فان العرب عليهم ان يحصروا هذا «المشروع» ثم يواصلون الضغط عليه، وارهاقه، حتى تتبدل الظروف وتتغير موازين القوى. وكان خط الحركة بالنسبة لتفكير جمال عبد الناصر الاستراتيجي كما يلي:

١ - يجب ان يسعى العرب لخلق جو دولي ملائم لهم... واكثر جو ملائم لهم هو جو تتقلص فيه الى اقصى حد ممكن صداقات اسرائيل وتتسع فيه الى اقصى حد ممكن صداقات العرب، ولتحقيق هذا الغرض يجب ان يوظف العرب جميع امكانياتهم الاقتصادية والجغرافية والحضارية.

٢ - كخطوة اولى، يجب ان تملك دول الطوق العربي المحيط باسرائيل مقدرة عسكرية تعطيها حرية الحركة داخل حدودها دفاعيا لكي تستطيع صد نزعات التوسع الاسرائيلي او رد ضرباته بكفاءة.

وكان رأي جمال عبد الناصر انه ليس منطقيا ان تتحدث اي دولة عربية عن تحرير فلسطين اذا كانت حدودها هي نفسها مع اسرائيل غير مؤمنة وغير محمية.

ولقد كان هذا هو المنطق الذي عالج به مشكلة تحويل مياه الاردن سنة ١٩٦٤.

ففي حين ان بعض الدول العربية كانت ترى ضرورة الهجوم على مشروعات التحويل الاسرائيلي - فان رأيه كان يختلف، وكان رأيه ان يخطط العرب لانشاء مشروعات بديلة في اراضيهم على شرط ان تكون لهم مقدرة حمايتها.

وهكذا فان حرية جيوشنا في الحركة والعمل داخل حدودنا هي الاساس الذي لا يمكن قبل توفيره ان نتحدث عن اقتحام الخطوط الاسرائيلية والتعرض - ولو المحدود - لمشروعات اسرائيل.

وكان رأي جمال عبد الناصر ان دول الطوق العربي يجب ان تكون

فعلا ستارا من الفولاذ يحيط باسرائيل·

٣ ـ ان الامة العربية عليها من وراء هذا الطوق ان لا تتعامل مع المشروع الصهيوني مهما كانت الظروف ومهما كانت الضغوط·

وكان رفض الاعتراف ورفض التفاوض ـ في اعتقاده ـ من اهم اسلحة العرب السياسية·

ثم كانت المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل وللذين يتعاملون معها ـ في رأيه ـ اداة لا تقل اهميتها في المعركة الشاملة عن ادارة القوة المسلحة·

وكان اصراره طول الوقت: انه لا يهم ان نحارب باسرع ما يمكن، ولكن المهم ان لا نخفف قبضة الحصار السياسي والاقتصادي والنفسي من حول المشروع الصهيوني·

وكان له تشبيه في وصف هذا الحصار استعاره من الوصفات الطبية الشعبية في الريف المصري، وهو تشبيه التخلص من «السنطة» ـ وهي بثور على الجلد ـ بلفها بشعرة من ذيل حصان ثم ربطها اشد ما تكون لحبس الدم عن الوصول اليها، حتى تبدأ في الضمور والذبول والسقوط·

٤ ـ من الضروري ان تكون الخطوط من حول اسرائيل «حية» باستمرار ، وليس ضروريا ان يكون التعبير عن ذلك بعمليات واسعة، وانما تكفي عمليات محدودة، كغارات الفدائيين مثلا، تذكر اسرائيل وتذكر العالم وراءها ان المشكلة قائمة لم تتجمد بالتبريد·

ولا بد ان يكون العرب مستعدين ما بين فترة واخرى لقبول مخاطر عمليات عسكرية واسعة لا يكون هدفهم منها هو احراز نصر شامل ضد اسرائيل ـ فذلك غير متاح في الظروف الراهنة ـ وانما يكون هدفها الحاق اكبر قدرة من الخسائر البشرية والنفسية بالكيان الصهيوني لاشعاره طول الوقت بأن اساس وجوده مهدد، وبأن تكاليفه باهظة، وبأن مستقبله في مهب الرياح·

٥ ـ وكان تصور جمال عبد الناصر ان هذه العمليات العسكرية، او الحروب المحدودة، سوف تتكرر، وان العرب قد يحققوا الفوز في بعضها وقد يعجزون في بعضها الاخر ـ وهذه مخاطر ينبغي تعويد النفس على تحملها، ولكن تعاقب الجولات المسلحة في الصراع العربي الاسرائيلي سوف يصل بالمشروع الصهيوني الى حالة اليأس، وسوف يجيء يوم يتفكك فيه هذا المشروع·

وكان جمال عبد الناصر يتصور هذا التفكك على شكل هجرة واسعة

من اسرائيل، وليس هجرة واسعة اليها، وكان تقديره ان العرب سوف يصلون الى هذا الهدف - باستراتيجية صحيحة - في مدى يتراوح ما بين اربعين وخمسين سنة من قيام اسرائيل، وكان يتصور ان هذه المساحة الزمنية قد تشهد ما بين سبع جولات الى عشر جولات من الحروب المحدودة.

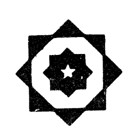
والملفت للنظر ان التاريخ العسكري للمنطقة كان سبيله الى تصور نهاية اسرائيل، وكان يقول في كثير من الاحيان:

- ان الغزوة الصهيونية في المنطقة سوف تنتهي بنفس الطريقة التي انتهت بها الحملات الصليبية.

ليست هناك معركة حاسمة واحدة.

وليست هناك معارك نربحها كلها او نخسرها كلها.

المهم هو احكام الحصار وتشديد الضغط وتوجيه الضربات - كلما استطعنا - بقصد احداث اكبر قدر ممكن من الخسائر لاثبات استحالة الامن بالنسبة للمشروع الصهيوني... واذا ثبتت استحالة الامن تأكدت في نفس اللحظة استحالة الحياة.



« يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين »
تقديم محمد حسنين هيكل
الطبعة الاولى،

باريس - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨

33 , Rue Marbeuf Paris 75008 FRANCE

هذا الكتاب هو الوثيقة الوحيدة التي تركها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بخط يده عن مرحلة مهمة من تاريخ القضية الفلسطينية . ويوميات عبد الناصر ، عن حرب فلسطين ١٩٤٨ ، كما عاشها بنفسه على الجبهة كضابط شاب ، تسلط الضوء ليس على افكاره وتصوراته بالنسبة الى الصراع العربي ـ الاسرائيلي فحسب ، وانما تشكل ايضا منطلقا لفهم تطورات هذا الصراع وفق نظرة مستقبلية شاملة . وهذا ما اكده تقديم الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل اذ حلل الافكار العسكرية والسياسية التي طرحها عبد الناصر في يومياته ليستنتج منها خلاصة المبادىء التي دافع عنها ، منذ وصوله الى سدة الرئاسة الاولى ، بما يخص القضية الفلسطينية . « يوميات حرب فلسطين » وثيقة سياسية مهمة يعيش معها القارىء لحظات انسانية حرجة واجهها « الضابط » الشاب عبد الناصر على الجبهة ، لاسيما عندما اصيب برصاصة وسال دمه ، فطرح اكثر من سؤال عن الحرب والسلام ومستقبل الصراع .

« الناشر »

منشورات مؤسّسة "الوطن العربي"
للطباعة والنشر - باريس

السعر ١٠ ليرات لبنانية
أو ما يعادلها